

تأليف

يوسف بن عيسى القناعي

١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م



دار سعد مصر

٧٢ شارع الفجالة بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاقبة للمتقين

وبعد ، فهذه نبذة يسيرة من تاريخ الكويت ألفتها لأبناء المدارس مبتدءاً فيها من صباح الأول وختمتها بوفاة مبارك بن صباح سنة ١٣٣٤ هـ . وأرجأت تاريخ من بعده إلى وقت آخر إن سنحت لي الفرصة . وقد اعتمدت فيها على ما شاهدته ثم النقل عن الآباء فنقل الآباء عن أسلافهم .

والله أسأل أن يوفقني للحقيقة والصواب ؟

الكويت

هو تصغير كوت وهو معروف بالعراق ، وهو عندهم يحتوى على عدة دور للفلاحين ويحاط بسور . وقد تكون هذه الدور خالية من السور .

وتاريخ بناء هذا الكويت لا نعلمه بوجه الحقيقة والأحرى أنه بنى فى آخر القرن الحادى عشر من الهجرة . أما البانى فهو أمير بنى خالد باتفاق الرواة . كان هذا الأمير يضع فيه الزاد والمتاع إذا أشمل للربيع ويتزود منه لحاجته . والظاهر أن البانى لهذا الكويت هو براك أمير بنى خالد ، لأن براكاً سنة ١٠٧٤ ﻫ كان هو الأمير على بنى خالد أيام دولتهم . وقد ذكر فى تاريخ العراق الحديث (أن الحكومة أمرته أن يأخذ الأحساء من محمد باشا فلم يجد صعوبة فى أخذها ورأى من المناسب أن يأخذها بنفسه) . فمن هذه العبارة استدل أن البانى هو براك وأن البناء قد يكون فى آخر سنة ١١٠٠ من الهجرة .

مناخ الكويت

الكويت أحسن بلد فى الخليج الفارسى مناخاً وصحة . أما الهواء فريح الشمال تهب على الكويت من بحر لا يتجاوز عرضه عدة أميال فيأتيها الشمال خالياً من السموم ومن الرطوبة متلطفاً بالبرودة من هذا البحر . والصبا يأتيها من البحر ويسمى «نعشى» والجنوب يأتيها من الخليج الفارسى محاذياً لساحل العدان وفيه نداوة قليلة لا تنكمش منها النفس ، وهواءها ليلاً فى الغالب هو الغربى يأتيها من الصحراء لذيذاً بارداً . وليس فى الكويت هواء فيه سموم إلا السهيلى ، ويهب من جهة السهيل اليمانى وهو ما بين الغرب والجنوب ، وهذا الهواء مع ندرته لا يكون به سموم إلا إذا هب نهاراً فى أيام الصيف قرب الظهيرة . ومنام الكويت أيام الصيف لا يوجد حتى فى الشام ولبنان والسبب عدم وجود البعوض والبق ، وينام الكويتيون فى الصيف على سطوح المنازل بينما المنام فى الشام ولبنان داخلها وهى لا تخلو من البعوض .

أما الصحة فحدث عنها ولا حرج فلقد مضى على أهل الكويت ما ينيف على ٢٠٠ سنة وليس فيها طبيب سوى طب العجائز: الكي وشرب المسهل، والأمراض الفتاكة نادرة فيها، ولهذا لما حدث الطاعون سنة ١٢٤٧ هـ جعلوا لحدوثه تاريخاً، ومن بعده لم يحدث وباء يذكر سوى الانفلونزة العامة آخر سنة ١٣٣٦ هـ.

ولو أن أهل الكويت أعطوا النظافة حقها في مسكن وملبس ومأكل وبدن لرأيتهم أكثر مما هم فيه من الصحة والنشاط ولكن الأغلبية الساحقة هي على البداوة من قلة العناية بالنظافة وعدم الاعتقاد أن النظافة أساس الصحة. وقد بدأت حالتهم تتبدل لانتشار العلم وإدراك أن النظافة من الإيمان.

أرض الكويت والزراعة

أرض الكويت صالحة للزراعة بجميع أنواعها، وإنما العلة هي قلة الماء الصالح للزراعة، إذ ليس في الكويت ماء معين ولا عيون يتوفر فيها الماء وتقوم بحاجة المزارعين، بل جل ما فيها آبار يتوقف

ماؤها على الأمطار ، فإذا جاء المطر صارت هذه الآبار صالحة للزرع ، وإن قل المطر أو انقطع صارت مالحة لا تصلح لذلك . فلهذا يقتصر زارع الكويت على زرع المخضرات من طماطم وبطيخ وقثاء وبصل وكراث وفجل وما أشبه ذلك لأنها تثمر بعد مدة قليلة وقبل أن يتبدل ماء الآبار .

وأما زراعة الأشجار والفواكه والنخيل وكل زرع يريد استمرار الماء فإنها لا تنتج بسبب تبدل الماء إذا دام عليه النزح .

وفي الجهرة (وهي قرية من قرى الكويت) آبار ماؤها غزير ولا ينقطع أو يتبدل إلا أنه مر لا يصلح لكل زراعة . ويزرع في هذه القرية النخل والبرسيم والشعير والكرات وما أشبه ذلك ، وجل حاصل زراعتها من البرسيم ، ولو سهل الله للكويت آباراً ارتوازية أو مدت لها أنابيب المياه من البصرة لكانت أرضها جنة تشد إليها الرحال ، وما ذلك على الله بعزيز .

أول من سكن الكويت

سكن الكويت قبل آل الصباح وجماعتهم لفيف من البدو وصيادي السمك ثم آل الصباح وآل خليفة والزايد والجلاهمة والمعاودة . نزل هؤلاء بعد الإذن من أمير بني خالد ، وكانت هجرتهم إلى الكويت بالتدريج لأنهم لما تركوا قطر تفرقوا في البلاد فمنهم من سكن بلاد فارس ومنهم من سكن قيس (وهي جزيرة في الخليج الفارسي) ومنهم من سكن الصُّبيَّة ومنهم من سكن عبادان والمحراق . ثم أخذوا يتوافدون على الكويت وتبعهم خلق كثير غيرهم من عرب وعجم .

اختيار صباح الأول للحكم

لما كثر الساكنون في الكويت وخالطهم جمع من المهاجرين إليها رأوا من الضروري أن يؤمر عليهم أمير منهم يكون مرجعاً لحل المشكلات والاختلافات فوقع اختيارهم على صباح لهذا الأمر ،

فوافقهم صباح بعد أخذ العهد منهم على السمع والطاعة فى الحق .
ولا نعلم على وجه الحقيقة فى أى سنة اختير هذا الأمير ولكن تتفق
الرواة أنها ما بين سنة ١١١٠ وسنة ١١٣٠ هـ على وجه التقريب .

لم نعلم بحقيقة الحال عن مولده ومدة حياته ولا نعلم بسنة موته
وأما سيرته فهى باتفاق الرواة حميدة مرضية ويؤيد ذلك أن الجماعة
ما اختارته وقدمته إلا لأنه أمثلهم عقلا وأحسنهم سيرة وأقربهم
لاتباع الحق ، وقد أصابوا المرمى فى ذلك والحمد لله .

عبد الله بن صباح الأول

لا نعلم تاريخ ولادته .

وهو أصغر أولاد صباح . ولصباح عدة أولاد ولكن عبد الله
أحسنهم سيرة ونباهة . وقد استقام فى الامارة ما يقارب سبعين سنة
وتوفى سنة ١٢٢٩ هـ . وتقدمت الكويت فى أيامه وامتدت تجارتها
إلى الهند والمليبار واليمن والعراق — كما ترى ذلك مفصلا عند
ذكرنا للتجارة — ومن المتفق عليه أن عبد الله رجل حازم ،

قريب من الحق ، محب للعدالة ، حسن السياسة ، لا يبت فى أمر مهم إلا بعد مشاورة جماعته ، ولا يخالفهم فيما يرونه صوابا .

الحوادث المهمة

فى زمن عبد الله الأول

١ — هجرة آل خليفة من الكويت الى الزبارة سنة ١١٨٠هـ :

أصح الأقوال فى سببها هو ما حصل من التعدى على أهل الكويت من بنى كعب بن عامر . وبنو كعب قبيلة كبيرة من سبيع كانت تابعة للحكومة العثمانية ، وحصل بينها وبين الحكومة خلاف فهاجرت إلى الدورق سنة ١١٧٨ هـ فصارت تابعة لإيران ، وكانت سفنهم من أيام قوتهم إلى حال التاريخ لم تنقطع من سابلة الكويت وبسبب هذا الاختلاط حصل منهم ظلم وتعدٍّ على الكويتيين فلم يطق الشيخ محمد بن خليفة هذه الإهانة فهاجر إلى الزبارة وأول من نزل الزبارة الشيخ أحمد بن رزق .

وإن أردت تفصيلاً لتحول الخليفة من الكويت إلى الزبارة

ثم تملكهم للبحرين فراجع تاريخ البحرين للشيخ محمد النبهاني تجد فيه الحقيقة .

٢ — وقعة الرقة :

الرِّقَّة محل معروف بقرب فَيْلَكَة . وأسباب الوقعة طمع بني كعب في الكويت وإباء أهل الكويت الخضوع لمظالمهم . ولما علم عبد الله بن صباح بحملتهم على الكويت جهز سفن الكويت بما لديه من قوة بالرجال والسلاح . فالتقت السفن بالرقة ، ومن حسن حظ الكويتيين أن الهواء كان ساكناً وسفن العدو متفرقة ، وسفن الكويت صغيرة تجدف بالمجاذيف ، فأخذت تحيط بسفن الكعبيين واحدة بعد واحدة ، وسفن الكعبيين كبيرة لا تستطيع الاتصال لركود الهواء فكلما قضت سفن الكويت على واحدة تحولت إلى الأخرى . . وهكذا . . حتى قضت على أغلب سفن العدو ولم يسلم منهم إلا النادر ؛ ورجع أهل الكويت فائزين بالنصر ، وأخذوا من العدو عدة سفن مع ما بها من ذخيرة فصار هذا النصر فاتحة عز لأهل الكويت .

٣ — بناء السور الكويت :

كانت الكويت فى بادىء أمرها تحت حماية أمير بنى خالد فلما توفى وضعف حكم بنى خالد صارت الكويت مهددة من جهة الجنوب بسعود بن عبد العزيز آل سعود ، ومن جهة الشمال بأمراء المنتفق ، فاضطر الكويتيون لحماية أنفسهم وأموالهم إلى بناء السور ، فبنوه فى مدة وجيزة .

وكان أوله من الجهة الشرقية جناح نقعة[1] ابن نصف الشرقى ، وآخره من جهة الغرب جناح نقعة سعود القبلى (قرب المدرسة الأحمدية الآن) ثم زيد هذا السور فى زمن جابر بن عبد الله من الجهة الغربية فصار آخره من جهة الغرب جناح نقعة ابن عبد الجليل الشرقى .

وقد جعلوا للسور ستة أبواب ، فالأول من جهة الشرق يسمى « دروازة ابن بطى » وهو شرقى بيت ابن نصف ، والثانى « دروازة القروية » وهو يقابل محلة القناعات من جهة الجنوب ، والثالث

(١) النقعة : حوض ترسو فيه السفن

يسمى « دروازة آل عبد الرزاق » وهو جنوب المسجد الآن ، والرابع « دروازة الشيخ » وهو محل الصنقر ويسمى محل ادهيمان ، والخامس « دروازة السبعان » وهو شرقي بيت ابن بحر حوالى مدرسة البنات الآن ، والسادس يسمى « دروازة البدر » وهو بقرب مسجد الصقر ، ويقال إن جنوبي بيت عثمان الراشد باب يسمى « دروازة النداغ » .

جابر الأول

تولى الامارة بعد وفاة أبيه عبد الله بن صباح سنة ١٢٢٩ هـ ، وكان حين وفاة والده فى البحرين ، وعين محمد السلمان نائباً عنه حتى يقدم ، فلما قدم بويع بالأمارة فاستقام بها إلى وفاته سنة ١٢٧٦ هـ .

والمشهور عنه أنه رجل عاقل هادئ الطبع ، محب لقومه ، مشفق عليهم ، اشتهر بجابر العيش لكرمه ، ولأنه كان يطبخ الأرز للفقراء ، وله عريش قرب بيته يجتمعون فيه ويقدم لهم الطعام .

الحوادث المهمة فى أيامه

١ — مساعدة للحكومة العثمانية :

ذكر المرحوم عبد العزيز بن رشيد فى تاريخه ما خلاصته « فى أيام على باشا احتلت بعض القبائل العراقية البصرة ، وفر المتسلم إلى الكويت ، وطلب النجدة من جابر ، فكان جابر أكبر مساعد للحكومة فى استخلاص البصرة من بنى كعب ، ولهذا كافأته الحكومة بمائة وخمسين كارة من التمر سنوياً ولم تنقطع هذه المساعدة إلا فى أيام مبارك بن صباح » .

وذكر الأعظمى فى تاريخ البصرة « إنه فى سنة ١٢٤٦ على أثر عزل داود باشا تولى إمارة العراق على باشا ، وهجمت عشيرة بنى كعب على البصرة ، فقاتلهم البصريون بزعامة آل الزهير ، ومعاضدة بنى عقيل النجديين أهل الزبير ، فطردوهم خاسرين ، ومتسلم البصرة هو عزيز آغا ، تولى المتسلمية سنة ١٢٤٠ وعزل عنها سنة ١٢٤٦ ولم يغادر البصرة » .

نجد بين نقل ابن رشيد والأعظمى فرقاً كبيراً واختلافاً

ظاهراً : والذى أرجح أن نقل الأعظمى هو الواقع ، وأما جابر فقد جهز السفن وتوجه لمساعدة الحكومة ، ولكن لم يجر بينه وبين بنى كعب قتال ، بل طرد بنو كعب عنها كما ذكر الأعظمى فى تاريخ البصرة ، وكوفىء جابر بـ ١٥٠ كارة من التمر لهذه المساعدة . ولأهل الكويت مساعدات كثيرة للحكومة إلا أنها لم يجر فيها قتال وحادثة سنة ١٢٤٦ قريبة ، وقد أدركنا من الشيبان من عنده علم بهذا الأمر مثل المرحوم جبر الغانم — وهو من المعمرين — وأنا سألته بنفسى ولم أجد عنده تفصيلاً لهذا القتال بل عنده خبر تجهز جابر . أما المتسلم الذى فر إلى الكويت فهو مصطفى الكردى ، عصى الحكومة العثمانية فزحف عليه سليمان باشا ففر إلى الكويت ومنها سافر إلى نجد .

٢ — غزو المحمرة :

ذكر الأستاذ ابن رشيد « أن قبيلة بنى كعب طردت جند الحكومة العثمانية من المحمّرة فهب جابر لمساعدتها وخلصها من أيدى الغاصبين ، وسلمها لأهلها » .

ويقول النبهانى فى حاشية تاريخه « إنه فى سنة ١٢٥٣ أخذ على باشا المحمرة وأرخ بقولهم $\frac{\text{كاب غار}}{\text{١٢٥٣}}$.

وأهل الكويت متفقون على مساعدة جابر للحكومة ، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن هذا القتال ، سوى أن قلة ضربت دماغ رجل فى السفينة من أهل الكويت ، ونثرت مخه على الزاد الذى يأكلونه ؛ فتوقف الجميع عن الأكل ، عدا رجل من الزايد ، فإنه أزال ما انتثر على الزاد ، وأتم أكله ! . . .

وأرى مما تقدم أن مساعدة الكويتيين للحكومة صحيحة ، إلا أن القتال لم يجر بينهم وبين بنى كعب فى ساحة الحرب . والوقعة قريبة العهد وهى فى سنة ١٢٥٣ ه . ولم يذكر أحد من الشيبان صفة الوقعة ، ولا من قتل فيها أو جرح فلو كان جابر هو المخلص للمحمرة من بنى كعب ، ثم سلمها للحكومة ، لكان لهذه المعركة شأن يذكر عند أهل الكويت . وعلى هذا فإن ما كتبه النبهانى من أن على باشا هو الذى أخذ المحمرة هو الصحيح ، والله أعلم .

صباح بن جابر

تولى الادارة بعد وفاة أبيه سنة ١٢٧٦هـ . وكان فى حياة والده أكبر مساعد له ، بل لما كبر جابر آلت الأحكام اليه . وكانت أيام صباح كلها هناء وسعة فى المعيشة ، ولم يحدث فى أيامه شىء يكدر صفو العيش ، وتقدمت التجارة فى أيامه تقدماً يشار اليه ، وأراد أن يضع رسوماً على الأموال الخارجه من الكويت فعارضته الجماعة ، لأن الرسم على الأموال الخارجة مضر بمصلحة التجارة ومعوق لها ، وقالوا له : إن كنت فى حاجة للمال فما عندنا شىء يعز عليك ، فانصاع لارشادهم

توفى سنة ١٢٨٣هـ حميد السيرة ، مرضياً عنه ، ولم تجر فى أيامه حوادث تذكر .

الحكم المشترك بين أبناء صباح

توفى صباح عن عدة من الأولاد ولكن إدارة البلد صارت بين أربعة منهم فقط . وهم : عبد الله وهو الأكبر ، ومحمد ومبارك

وجراح . والثلاثة أشقاء ، واسم الامارة لأخيهم الأكبر ، وكانت أغلب الأعمال بيد الثلاثة ، فمحمد يباشر الأحكام للحضر ، ويشاركه مبارك فى ذلك ، ويختص بأغلب الأحكام بين بدو الكويت ، أما جراح فأغلب عمله فى المالية ، فهو كوزير للماليه ، ومباشرته للأحكام قليلة . وقبل جراح لم يكن لبيت الامارة مالية تذكر فالدخل ضعيف جداً ولا يسد حاجة الأمراء بل ربما أحوج الأمر للاقتراض من الأهالى ، ولكن جراحاً التفت إلى الفاو وعمره ، وأخذ يؤدى مايسد الحاجة ويزيد ، وقد بنى عدة من الدكاكين سنة ١٣١٢ﻫ ومنها سوق اللحم والسمك ، فصار الدخل ينمو سنوياً ويدخر الفاضل منه ، ولكن على تقدمه لم يكن شيئاً مذكوراً نسبة لدخل الكويت اليوم ، فأدنى تاجر من أهل الكويت هذه الأيام يملك أكثر مما يملك الأمراء فى ذلك الوقت ، والدليل على ذلك أن مباركا لما قتل أخويه وتولى على المالية لم يجد فيها سوى ٧٠٠ ريال نقداً و ٧٣٥٠٠ روبية أمانة فى بيت ابن إبراهيم فى بومبى

عبد الله بن صباح الثانى

كان عليه الرحمة حسن السيرة ساكن الطبع دمث الأخلاق ، ليس عليه شيء من مظهر الامارة وعظمتها ؛ لايميز عن سائر أهل الكويت فى هيئة وملبس ؛ يعيش عيشة القانع فى مأكله وملبسه ومسكنه ؛ يمشى وحده بلا خادم ولا أبهة ؛ وقد يتبعه فى بعض الأوقات عبده النوبى ويسمى « أبو سموم » وتارة يتبعه خادمه عبدالله المقهوق . ولم يتعد على أحد ولم يكدر خاطر الجلساء بكلمة سوء مدة حياته وكان محبوباً لدى جميع الأهالى . ومن نوادره أنه جاءه رجل يدعى على خصمه بشىء تافه ؛ فأنكر المدعَى عليه ؛ فطلب عبد الله من المدعِى البينة ؛ فذهب لإحضار شهوده ؛ فلما أدبر قال عبد الله للمدعَى عليه « انحاش قبل أن يأتى بشهوده » ففر المدعَى عليه ، فلما جاء المدعِى قال له « خصمك انحاش » فضحك الحاضرون من هذه النادرة .

توفى عليه الرحمة آخر سنة ١٣٠٩ هجرية .

محمد بن صباح

لا أكون مبالغاً إذا قلت إن محمداً بن صباح هو الرجل الوحيد في زمنه بالعفة والنزاهة ، ولم يذكر عنه في شبابه ولا في كهولته مايدنس شرفه أو يحط من قدره ، وقد حُبِّب لعموم الكويتيين حتى صار كما قال الشاعر :

كأنك من كل النفوس مركب فأنت إلى كل الأنام حبيب

ألبسته عفته مهابة ووقاراً ، مع تواضعه ولطفه ، وكان كثير الصمت قليل الكلام ، متديناً يحب العلماء ويسمع كلامهم ، محباً لجماعته ، حريصاً على التآلف والتوادد بينهم ، فلهذا أُحبته الجماعة حباً جماً .

قتل مظلوماً في ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣١٣ هـ

السبب في قتل محمد وجراح

بعد وفاة عبد الله بن صباح اشتد الخلاف بين الأشقاء ، ولا أرى سبباً له سوى الدراهم ، لأن مباركاً حاكم ويريد أن يظهر

بتظهر حكام العرب من البذل ، سواء كان البذل فى محله أم لا ، وجراح يخالفه فى ذلك ؛ ويقتر عليه ؛ لأنه يرى نفسه المؤسس الوحيد للمال ، ولا يرى مايراه مبارك من البذل ؛ ومحمد عليه الرحمة ينصاع لما يراه جراح ، ولما بلغ الخلاف أشده جاء سالم البدر من البصرة سنة ١٣١٠ هـ وأصلح بين الأخوة ؛ وجعل لمبارك راتباً سنوياً عشرة آلاف روبية . ولا أدرى هل جاء سالم بدعوة من آل الصباح أم بنفسه لأنه صديق حميم لآل الصباح .

ولما توفى سالم سنة ١٣١٢هـ عاد الخلاف بينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

وإليك صفة الحادثة نقلاً عن المرحوم جابر بن مبارك فهو يقول « رأيت مبادىء الحركة عند خدم الوالد تلك الليلة ولكنى لم أجزم بأن المراد بها هو القتل ، فبت فى بيتى ؛ ولما مضى أغلب الليل خرجت إلى محل الوالد فإذا هو وسالم وجميع الخدم على أهبة الهجوم ، فأمرت خادمى أن يأتى بسلاحى من البيت ؛ ولما طلع الفجر خرج صباح بن محمد للمسجد وصار البيت مفتوحاً ، فحينئذ دخلنا البيت والكل نيام ؛ فأمرنى الوالد أن أتوجه لجراح ، وتوجه

الوالد إلى جهة محمد ، ووقف سالم بالباب كيلا يدخل علينا أحد ،
ولما صعدت على سطح البيت ، وتوجهت إلى عمي جراح رأيت باباً
صغيراً مغلقاً بين سطحين فحركته فانفتح ، ودخلت عليه فاذا هو
قاعد على سريره وزوجته واقفة بقربه ، فصوبت عليه البندقية فلم
تصدق ، فتأخرت إلى الخلف وأمرت الفداوية فصوبوا اليه بنادقهم
وهو يقول : عمك . . عمك . . » (أى اتق الله فى عمك)

وقتل الاخوان فى ذلك اليوم النحس الذى لم تشهد الكويت
منذ تأسست مثله . فما ترى إلا أعيناً دامعة ، وقلوباً خاشعة ، .
وإنا لله وإنا إليه راجعون .

مبارك بن صباح

انفرد بالحكم فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ١٣١٣هـ وتوفى فى
٣٠ من المحرم سنة ١٣٣٤هـ . وفى هذه المدة اتسعت الكويت وزاد
العمران ؛ وصار لها اسم كبير فى خليج فارس ، واستتب الأمن فى
بادية الكويت ؛ وزادت الثروة ؛ وتقدمت التجارة ، وأخذت

البواخر تمر الكويت فى ذهابها للبصرة ورجوعها منها ، وبلغ الغواصون على اللؤلؤ الحد النهائى فى الاتساع فى السفن والمحصول ، وكان مبارك فى العشر السنين الأول من حكمه جارياً على سيرة أسلافه من التواضع وعدم المظالم ، بل كان خيراً من أسلافه فى صرامة الحكم والدفاع عن أهل الكويت خارج حدود الكويت ، فالقوى والضعيف عنده بالحق سواء ، حتى أخضع آل الصباح بحكمه الصارم فلم يستطع أحد منهم التجاوز على أحد من الرعية ، بل ضرب أخاه جابر بن صباح فى قضية تافهة لأنه تعدى فيها على ضعيف . ولكن مع الأسف لما صحب حاكم المحمرة : خزعل بن مرداو ، تبدلت حالته وقلده فى كثير من المظالم والتكبر والتهاون بالدين وانتهاك المحرمات ، وقرين السوء يعدى جليسه كما يعدى السليم الأجرب .

وإن أردت زيادة عن حال مبارك فراجع تاريخ ابن رشيد

الحوادث المهمة فى زمن مبارك

١ — حادثة يوسف آل ابراهيم

يوسف بن عبد الله آل ابراهيم من بيت رفيع بالكويت وله مصاهرة مع الصباح ، وكان هذا البيت فى ذلك الزمن أثرى بيت فى الكويت ، وقد حصل ليوسف من العز والاقبال مالم ينله أحد قبله منذ تأسست الكويت ، وكان يوسف صديقاً حميماً لمحمد بن صباح وأمره نافذ لايرد ، ولما قضى الله على محمد كان يوسف بالصبيه وهى محل نزهته ؛ فالتجأ إليه سعود بن محمد الصباح . و بعد أيام تبعه بقية أولاد محمد ؛ فتحول يوسف معهم إلى البصرة خوفاً من هجوم مبارك عليهم . وأخذ يطالب بحق أولاد محمد لدى الحكومة العثمانية . ولم يترك طريقاً للمساعدة إلا سلكه ، ولكنه لم يوفق فى جميع أعماله حتى توفى فى حائل سنة ١٣٢٣ هـ

والمهم من أعماله أنه فى محرم سنة ١٣١٥ جهز على الكويت نحو ١٣ سفينة معدة بالسلاح والرجال ، ومراده أن يهجم على مبارك على غرة ؛ ولكن أبو كحيل أنذر مباركاً قبل وصول السفن بيوم ،

وجاءت أيضاً سفينة من الفاو أرسلها جابر الصباح لأخيه مبارك يخبره بمشاهدة السفن . ومن لطف الله أن الهواء فى ليلة الهجوم كان معاكساً لسير السفن فأصبح الصبح والسفن أمام الكويت متفرقة ، ورأى يوسف عياناً جمعاً من أهالى الكويت على الساحل بأتم الاستعداد لمحاربته ، فتشاور مع مبارك بن عذبى ، وهو من آل الصباح ، فكان من رأيه الهجوم مهما كلف الأمر ، لأن أغلب أهل الكويت حينذاك يميلون إلى أولاد محمد ، ولكن يوسف أجابه إننا لم نقصد أهل الكويت ، ومرادنا ثلاثة لاغير ، يعنى مباركاً وولديه جابر وسالم ، ثم رجعت السفن بخيبة الفشل وسلم الله الكويت وأهلها من وخامة الهجوم

٣ — وقعة الصريف

كتب عبد العزيز المتعب أمير حائل إلى يوسف بن ابراهيم يدعوه ، فلبى طلبه ، ولما علم مبارك بوصول يوسف إلى حائل امتعاء جداً وتوحش من عبد العزيز المتعب ، وأيقن أن الحرب واقعة لا محالة بينه وبينه ، ولهذا حرك عبد الرحمن الفيصل وأمره أن يغزو

عشائر ابن رشيد فغزاهم فى الروضة وأخذهم ، ثم جهز مبارك أخاه حمود الصباح للهجوم على شمر ، عرب ابن رشيد القاطنين على الوخيمة ، فأخذ طرفاً منهم . وبعد هذه الحادثة اشتدت العداوة بين مبارك وابن رشيد ، وأخذ كل منهما يستعد لوقعة حاسمة ، فجهز مبارك كثيراً من عرب البادية ، من العجمان ، ومطير ، والعوازم ، وعريب دار ، والمنتفق ، وبنى هاجر ، وأكمل هذا الجيش بالحضر من أهل الكويت ومن تبع عبد الرحمن الفيصل ، وآل سليم ، والمهنا أمراء عنيزة وبريدة والملتجئين إلى الكويت . وسار هذا الجيش العرمرم إلى نجد بقيادة مبارك بن صباح ولم يجد أمامه أدنى مقاومة ، فدخل آل سليم بلدهم عنيزة وآل مهنا بريدة ، ودخل عبد العزيز السعود الرياض واستولى عليها ماعدا القصر الذى فيه الأمير عبد الرحمن ابن ضبعان ، من قبل ابن رشيد ومعه حامية من الجند ، فإنه حاصره بالقصر إلى أن خرج عبد العزيز بن سعود من الرياض بعد أن جاءه الخبر بانكسار مبارك بن صباح ، وتمزق جيشه . أما صفة الوقعة فأنقلها عن ثقة من آل الصباح ، كان حاضر الوقعة وهو من جند ابن رشيد فهو يقول « مضت مدة طويلة على مبارك وجنده فى

أطراف نجد ؛ وليس لابن رشيد اسم يذكر . أما ابن رشيد فعنده علم عن هـذه القوة الهائلة ؛ فأخذ يعد لها العدة ؛ فلما تم استعداد توجه لمقابلة خصمه ؛ فالتقى الجمعان فى الصريف فى شهر ذى القعدة سنة ١٣١٨هـ فنزل ابن رشيد فى محل منخفض من الأرض ؛ بينه وبين جيش مبارك مرتفع يمنع الرؤيا ؛ وأرسل كشافة من خيله على المرتفع ؛ ورجعوا يخبرونه بما شاهدوا من الجيش . وكان عزم ابن رشيد أن يؤخر القتال إلى الغد ؛ ولكن أشار عليه مبارك ابن عذبى (وهو من آل الصباح) بمناجزة الحرب ؛ وقال له « إن بت هـذه الليلة بهذا المحل هجم عليك العجمان ، لأنهم أهل براعة فى هجوم الليل » فقبل مشورته ؛ وساق المسيوق أمامه (المسيوق جملة من الأباعر يربط بعضها ببعض وتساق أمام الجند لتكون وقاية لمن خلفها) . أما جند مبارك فانهم ؛ لما بدت لهم طلائع خيل ابن رشيد استبشروا بها لأنهم يعتقدون أن النصر لامحالة لهم لكثرتهم ؛ فأخذوا يركضون لملاقاة العدو بلا نظام ولا تدبير . ولما التقى الجمعان غارت الخيل من جند مبارك من بدو وحضر ؛ فردت على أعقابها ؛ ثم جاءت أخرى من الجناح الآخر فكسرت . أما الحضر من أهل

الكويت فإنهم لما ساق ابن رشيد عليهم المسيوق ردوه خاسراً ، فأخذ الأمير ابن رشيد مع عمدة قومه يردون المسيوق إلى الحضر الكويتي . ولما تبين لابن رشيد أن بدو مبارك انهزموا جميعهم ولم يبق إلا الحضر أمر خيله أن تحيط بهم ، فصار حضر الكويت بالوسط يرمون من الأمام ومن الخلف . وانهزم مبارك مع المنهزمين وترك الحضر يجاهدون حتى قضى عليهم بالانكسار والتشتت »

وقد عمل ابن رشيد بعد الوقعة أعمالاً تمثل الوحشية والهمجية والظلم الذي لم يسمع له مثيل منذ خلق الله الأرض ومن عليها ، أخذ يتتبع الفارين والمنهزمين ويجمعهم ويقتلهم صبراً بلا رحمة ولا شفقة ، مع علمه أن هؤلاء المساكين سيقوا للحرب بالقوة ، ولم يكفه من قتل منهم في المعركة بل أخذ يتتبعهم في بيوت القصيم والقرى والمساجد ، وحذر أهل نجد أن يلوذ بهم أحد من جند ابن صباح . ولهذا العمل الشنيع عاقبه الله بعد مدة قليلة بالقتل وتمزيق ملكه على يد أعدى عدو له وهو عبد العزيز السعود ، الذي قتله شر قتلة .

٣ — وقعة هدية

حدثت فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٨ هـ وسببها أن سعدون المنصور غزا قبيلة مطير ؛ وصادف أن بعضاً من بدو الكويت نازلون بقربهم فأخذوا مع المأخوذين ؛ ولم يعلم سعدون بهم ؛ وكتب اليه جابر بن مبارك عنهم فجاء الجواب من سعدون يعتذر اليه بعدم علمه بهم وأنه مستعد لدفع ما أخذ منهم ؛ ثم كتب جابر لوالده مبارك يقول : إن سعدوناً مستعد لدفع ماأخذ وهو يعتذر بعدم علمه ، وطلب منا السماح فسامحناه . ولما قرأ مبارك كتاب جابر اغتاظ غيظاً شديداً وأخذ يردد هذه الكلمة «من أنت الذى تسامح وأنا بالوجود . . الأمر لى ولا بد من زوال سعدون من عالم الوجود . . وما سعدون إلا كالزفارة التى بيدى أشربها . . » ثم أمر أهل الكويت بالاستعداد للحرب وكلفهم مؤونة الجيش ؛ من ركاب ؛ وسلاح ، وزاد ؛ وكل مايحتاجه الغازون . فسار ذلك الجيش الذى لا يقل عن جيش الصريف بقيادة جابر بن مبارك ؛ وبصحبته عبد العزيز السعود ومعه نحو ٤٠٠ مقاتل من أهل نجد . وسار مع الجيش رجال

من أهل الكويت المتاجرة بما يكسب هذا الجيش من الغنيمة ، فكأن النصر حليفهم لا محالة . فلما تلاقى الجيش غارت الخيل على جند سعدون فردت على أعقابها خاسرة ، ثم جرى قتال طفيف بين الجيشين فألقى الكويتيون السلاح ، وتركوا حلتهم غنيمة باردة كهدية لقوم سعدون ! . . فسميت هذه الوقعة : هدية ، لأنه لم يجر بين المتقاتلين قتال يوجب هذا التسليم .

أما سعدون فقد أمر جنده ألا يقتلوا مدبراً وأن يكوموا الأسرى ويرجعوهم إلى أهلهم معززين ، فشتان ما بين سعدون وعبد العزيز بن رشيد .

* * *

وقد كنت أعجب من هذه الحروب بين العرب لأسباب لا تستحق رفع العصا فضلاً عن إراقة دماء الأبرياء المرغمين على الدخول فى ميدان الحرب إرضاءاً لأمير خالف أمر الله ورسوله وضحى بالمسلمين فى سبيل هواه ، كأنه لا يعلم بقول النبى ﷺ « إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار » . ولكن لما وقعت الحرب العالمية الأولى وتلتها الأخرى بين أهل العلم والمدنية ، الذين

يزعمون أنهم أهل الرحمة ، ويدافعون عن الحرية والانسانية ، زال عجبي ، وعلمت يقيناً أنه لافرق بين العرب وغيرهم في هذه الهمجية وأيقنت أن الناس إلى اليوم على حد قول الهندي : سمك كبار يأكل سمكاً صغاراً . فويل للضعيف .

خلصنا اللهم من هذه الحروب الطاحنة في سبيل المطامع الوحشية وارزقنا الحرية الصحيحة : إنك على كل شيء قدير .

* * *

إلى هنا أنتهي من ذكر الأمراء وسيرتهم ، ولعلك تقول أيها القارىء الكريم : إنك قد كلت الثناء للأمراء ولم تذكر لهم أثر خالداً يذكرون به ؛ فلا مساجد ولا مدارس ولا ملاجىء للفقراء والمرضى ولا مستشفيات ولا ولا . . فالجواب أن الأمراء الذين ذكرتهم ـ ماعدا مبارك ـ لهم العذر الواسع في ذلك ؛ لعدم وجود المال الذي هو الأساس لهذه المشاريع الخيرية ، وقد علمت مما مر أن المالية لم تسد حاجات الأمراء الضرورية ؛ ولهذا يستقرضون من الأهالي ، ولأنه لافرق إذ ذاك بين أمراء الكويت وأمراء البادية في الأمية وعدم التصور لهذه المشاريع والأهالي مثل ذلك .

وإذا وجهنا اللائمة إليهم فأهل الكويت أولى بذلك حيث وجد فيهم الأثرياء بالمال مثل يوسف البدر ، ويوسف الصقر ، ويوسف ابن ابراهيم ، ومحمد بن على بن عصفور وغيرهم من التجار الذين هم أثرى من الأمراء ، وكل هؤلاء لم نر لهم أثراً خالداً يذكرون به فى مستقبل الزمان .

أما مبارك فلا عذر له فى المال ولا فى التصور ، حيث إن المال فاض فى أيامه ، وأسست المدرسة المباركية فى زمنه ، وزارها مراراً ، وحبذ هذا المشروع المفيد ، ولكنه لم يساعدها بشىء يذكر ، ولا أستبعد أنه يرى أن من صالحه أن تبقى الأمة جاهلة كى لا تطالبه بحقوقها . وقد سمعت من أخيه جابر بن صباح هذه الكلمة مراراً بعد تأسيس المباركية وهى : (إن من صالحنا بقاءكم على الجهل) .

وهذه فكرة خاطئة ولا شك ، والمشاهد أكبر دليل ، فإن أمراء البلاد العالمة هم فى أحسن حال وأنعم بال ، بخلاف أمراء البلاد الجاهلة فهم فى شقاء وتقاتل ، وكفى قوله تعالى : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

الأحكام فى الكويت

منذ تأسست الكويت إلى يومنا هذا ، أحكامها جارية على غير دستور شرعى أو قانون تطبق عليه الأحكام بلا مخالفة له ، كما هو الحال فى البلاد المتمدنة . ولئن التمسنا العذر للمتقدمين لقربهم من البداوة فلا عذر للمتأخرين .

مرجع الأحكام فى الكويت الأمير وقاضى الشرع ، مع قطع النظر عن أهلية الاثنين وعدمها ؛ فإذا صار الأمير عادلاً والقاضى نزيهاً جرت الأحكام على وجه العدالة الشرعية ؛ وإن بليت بأمير ظالم وقاضٍ مرتشٍ فقدت العدالة وحصل الظلم . والحق يقال إن ما يحصل فى بعض الأزمان من ظلم وتعدٍ فى أحكام الكويت فهو لا ينسب لما فى البلاد القانونية من التلاعب فى الأحكام وكثرة الرشوة ، ومضى السنين العديدة على الدعوى ؛ حتى إن صاحب الحق يترك حقه وإن كان ظاهراً خوفاً من التردد على المحاكم . وعندى على ذلك حوادث عديدة أعرض عن ذكرها خوفاً من التطويل . وأرى أن السبب فى ذلك أمران : (الأول) النزاهة

فى أغلب أمراء الصباح الذين بيدهم الحل والعقد . (والثانى) فطرة الكويتيين على الإنصاف وعدم التعدى . ولهذا إذا نظرت إلى سعة الكويت وكثرة السكان ترى أن المرافعات قليلة جداً ، وأغلب ما يجرى من الخلاف بين الكويتيين يحل عند المرتضين من الأهالى بلا مرافعة للمحاكم . فالتجار لهم لجنة من أهل التجارة وينتهى الأمر بالرضى بحكمها ، وكذلك أهل الغوص وأهل السفر لهم ناس يرتضونهم لحل مشكلاتهم .

والخلاصة أنه لو كان فى الكويت قانون شرعى أو عرفى محترم تجرى عليه فى جميع الأحكام لكانت أسعد بلد فى العالم . وأملى بالله جميل بأن يتم إحسانه فأرى الكويت فى جميع دوائرها تمشى على نظام مدون له حرمة وسلطة ، بحيث لا يستطيع أحد ما مخالفته ، ويتساوى فيه الرفيع والوضيع .

تاريخ القضاء فى الكويت

إن مبدأ تاريخ القضاء فى الكويت مجهول . وقد ذكر الأستاذ ابن رشيد فى تاريخه أن أول قاضٍ عين فى الكويت هو

الشيخ محمد بن فيروز ، ولم يذكر تاريخ توليته . ويذكر أيضاً أن الشيخ ابن فيروز توفى سنة ١١٣٥ هـ . ويقال إن منصب القضاء تولاه بعد ابن فيروز رجل من آل عبد الجليل . ولما قدم من الأحساء محمد بن عبد الرحمن العدسانى زوجه ابنته وتنازل له عن منصب القضاء إعجاباً بعلمه ، فباشر القضاء سنة ١١٧٠ هـ . واستمر القضاء فى هذا البيت إلى سنة ١٣٤٨ هـ بوفاة عبد الله بن خالد العدسانى . وقد باشر القضاء على بن شارخ نحو ثلاث سنين ، والسبب أنه جرى خلاف بين محمد صالح العدسانى وابن شارخ فى صوم الثلاثين من شعبان إذا غمّ عليه . ثم عاد محمد للقضاء بعد وفاة ابن شارخ .

سلسلة القضاة فى الكويت

١ — الشيخ محمد بن فيروز . وقد توفى سنة ١١٣٥ هـ . ولم ندر بالتحقيق من شغل القضاء نحو ٣٥ سنة من بعده سوى ما يقال عن ابن عبد الجليل .

٢ — الشيخ محمد بن عبد الرحمن العدسانى من سنة ١١٧٠ وتوفى سنة ١١٩٧ هـ .

٣ — الشيخ محمد بن محمد العدسانى من سنة ١١٩٧ إلى سنة ١٢٠٨ هـ

٤ — الشيخ محمد صالح العدسانى من سنة ١٢٠٨ إلى سنة ١٢٢٥ هـ

٥ — الشيخ على بن شارخ من سنة ١٢٢٥ إلى سنة ١٢٢٨ هـ

٦ — عودة الشيخ محمد صالح العدسانى من سنة ١٢٢٨ إلى سنة ١٢٣٣ هـ

٧ — الشيخان على بن نشوان ومحمد بن محمود من سنة ١٢٣٣ إلى سنة ١٢٣٥ هـ (هذان توليا القضاء بالوكالة حتى استعد للقضاء عبد الله العدسانى)

٨ — الشيخ عبد الله العدسانى من سنة ١٢٣٥ إلى سنة ١٢٧٤ هـ

٩ — الشيخ محمد بن عبد الله العدسانى من سنة ١٢٧٤ إلى سنة ١٣٣٨ هـ وفى أيامه الأخيرة باشر القضاء ابنه عبد العزيز ؛ ولما توفى محمد تولى القضاء عبد العزيز وساعده عبد الله بن خالد العدسانى وتوفى عبد العزيز سنة ١٣٣٩ هـ .

وهنا ينتهى كلامنا عن القضاء فى الكويت لأننا نكتب تاريخ الكويت إلى نهاية حكم مبارك . وقد أدرجنا عبد العزيز هنا لأنه باشر القضاء فى زمن مبارك بالنيابة عن والده .

علم القضاة وسيرتهم

لم أقف على مبلغ علمهم ولا أعرف شيئاً عنهم بوجه صحيح ، سوى محمد بن عبد الله وابنه عبد العزيز ؛ فإنهما تصديا للقضاء بالإرث لا بالعلم والأهلية ؛ فلهذا صارت الأحكام فى زمنهما مهزلة وألعوبة ؛ عاملهما الله بعفوه . أما سيرة القضاة المتقدمين فالمسموع أنها سيرة طيبة ، ولم يذكر عنهم شيء مخالف للشرع .

نادرة : جرت مذاكرة عند الشيخ محمد العدسانى فى زكاة الفطر وأنها تكون من غالب قوت البلد ؛ فقال رجل من طلبة العلم : نعم ولكن البر أفضل من غيره ، لأنه هو غالب قوت البلد فى رمضان . فرد عليه القاضى : إذن فلتكن الفطرة تشريبة (أى ثريداً) ! . . .

المعارف والصناعة

لم يكن فى الكويت معارف تذكر منذ تأسست إلى سنة ١٣٣٠ هـ ؛ وإنما فيها كتاتيب يتعلم فيها الأولاد الصغار

مبادىء الكتابة والحساب وقراءة القرآن على الطريقة القديمة ، ويسمى المعلم مُطَوَّعاً ، والذى يحسن القراءة والكتابة قليل على حسب نسبة السكان ، وأغلب أهل الكويت إذ ذاك أميون . والمطوع نفسه لا يحسن التجويد ولا رسم الخط ولا يميز بين القاف والغين ؛ ولهذا تجد الكويتى لا يفرق فى كتابته ولا فى نطقه بينهما ، أما الحساب فقد عرفوا منه الجمع والطرح والضرب ، أما القسمة فقد عرفها قليل جداً منهم ، ولم تكن العلوم العصرية التى تدرس بالمدارس الآن تعرف ، وعلماء الدين أغلب معرفتهم فى الفقه والنحو والوعظ ؛ ويسمى الواعظ محدثاً .

والصناعات بأسرها لا توجد لها مدرسة ولا معلم يأخذون عنه الصناعة إلى يومنا هذا ، وإنما المشتغلون بالحدادة ، والنجارة ، والبناء ، والصواغ ، والنحاسون ، تلقوا معرفتهم بالممارسة لهذه الحرف .

وعند أهل الكويت أن المشتغل بهذه الصناعات ساقط الأصل ، ولهذا يترفع النسيب عن تعاطى الصناعة ، ولكنهم لا يعيبون النسيب إذا كان متسولا يريق ماء وجهه ؛ ولا أن يكون

زبالاً ، أو كناساً ، أو جصاصاً ، أو سقاء . وهذا المعتقد الفاسد لا يختص بالكويتيين وحدهم بل يشمل النجديين وأهل البحرين وأهل قطر ؛ والعجيب أنهم يترفعون عن مهنة شريفة لم يترفع عنها أنبياء الله الذين هم صفوة الخلق .

اللهم أرشد العرب لما به حياتهم ؛ وأزل عنهم هذه الفكرة السخيفة : فكرة الفخر بالعظام النخرة ؛ وبالأصول التي مالها أصل عن الله ورسوله ؛ فالله يقول إن أكرمكم عند الله أتقاكم . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود ؛ الناس من آدم وآدم من تراب . ويقول الرسول ؛ لما تلى عليه قوله تعالى : وآخرين من دونهم لا تعلمونهم . صدق الله وكذب النسابون . والعجيب المستغرب الذي لا يقبله العقل السليم أن كتب الأنساب تسلسل النسب إلى آدم ؛ فكأن المؤلف في النسب قابلة تقيد المولود من بني آدم إلى زمننا هذا ! .. انظر نسب السلطان عبد المجيد في كتاب الأنساب تر سلسلة نسبه إلى آدم ! ..

فيا إخواني وأبناء جنسي كونوا عصاميين لا عظاميين ،

وجاروا الأمم الحية بصناعاتها ، فلا حياة لكم إلا بالأخلاق العظيمة ، والصناعات المفيدة ، أليس من النقص أن الأصيل لا يحسن صنع إبرة يخيط بها ثوبه ، والأوربي طبق الأرض بعلومه وصناعاته ، فطار مع الأطيار ، وغاص فى لجج البحار ، واستولى على الممالك وما فيها من الأقوات . وصرنا نعيش تحت رحمته محافظين على الأصل كى لا يتدهور بالصناعة ! . . . فأفٍ وتفٍّ لهذا العقل السقيم ، وأقول على هذه المصيبة ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

السبب فى بناء المدرسة المباركية

كان الشيخ محمد بن جُنيدل يقرأ البرزنجى فى محلنا ، وكان المجلس محتشداً بالمستمعين ، فلما انتهى المولد قام المرحوم السيد ياسين طباطبائى وألقى كلمة خلاصتها « ليس القصد من مولد النبى تلاوة المولد وإنما القصد الاقتداء بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الأعمال الجليلة . ولا يمكننا الاقتداء به إلا بعد العلم بسيرته . والعلم لا يأتيكم اليوم إلا بفتح المدارس المفيدة ، وإنقاذ الأمة من

الجهل » . وبعد ما انتهى كلامه تدبرته فإذا هو الحق فأخذت أفكر فى الوسيلة التى يكون بها فتح مدرسة علمية . فرأيت أن أكتب مقالا أبين فيه فضل العلم والتعلم ، ومضرات الجهل ، وقيمة التعاون على هذا المشروع فكتبت هذا المقال وابتدأت بالتبرع لهذا المشروع بمبلغ ٥٠ روبية ، ليست فى ملكى حينئذ ، وإنما دفعتها بعد أن يسرها الله لى ، ثم ذهبت إلى المرحوم سالم بن مبارك الصباح ، وتلوت عليه المقال ، فأجابنى بأنه لا يمكن أن يقوم بهذا الأمر إلا الحاكم ، وكان الحكم حينئذ بيد والده مبارك . وخرجت منه قاصداً محل شملان بن على بن سيف ، ولم أجد هناك إلا ابراهيم ابن مضف فتكلمت معه عن المشروع فتبرع بمائة روبية ، وبعد هنيهة جاء شملان وأخبرته بخبر هذا العمل ولكنه لم يظهر لى غايته ولم يكتب شيئاً ، فخرجت من محله منكسف البال ، لأنه الصديق الحميم الذى يسمع كلامى ولا يخالفنى فى شىء . ولكنه حين قيامه من محله ذهب إلى دكان أولاد خالد الخضير ، وأخبرهم بالخبر فاستبشروا به وتبرعوا بخمسة آلاف روبية . وتبرع شملان بمثلها . وطلبوا من إبراهيم بن مضف الزيادة فتبرع بخمسمائة روبية .

ثم خاطبوا هلال المطيري فتبرع بخمسة آلاف روبية . ثم جرى الاكتتاب فحصل من بقية أهل الكويت ١٢٥٠٠ روبية . ثم كتب آل خالد وناصر المبارك وشملان وهلال إلى قاسم وعبد الرحمن آل إبراهيم فتبرع قاسم بثلاثين ألف روبية وتبرع عبد الرحمن بعشرين ألفاً فصار مجموع رأس مال المدرسة ٧٧٥٠٠ روبية. وتبرع أيضاً أولاد خالد الخضير ببيت كبير للمدرسة . وعينت لمباشرة البناء . واشترينا بيت سليمان العنزي . وبيتاً آخر بقيمة زهيدة . وحصل بيت وقف خرب تحت إشراف آل خالد أدخلناه في المدرسة . وتعهدت المعارف بدفع قيمة أضحيتين بحسب نص الموقف كل سنة . فصار مجموع قيمة البيوت التي ألحقت في بيت آل خالد ٤٠٠٠ روبية . وشرعنا في البناء سنة ١٣٢٩ ه وانتهى في رمضان من هذه السنة وبلغ مجموع ما صرف على البناء والأبواب والأخشاب نحو ١٦٠٠٠ روبية . وفتحت المدرسة للتدريس أول المحرم سنة ١٣٣٠ ه . وعينت ناظراً لها والمدير السيد عمر عاصم . وسارت المدرسة سيراً حسناً نحو ٣ سنوات . ثم عزلني مبارك الصباح عنها . وحجته أمام الأعضاء أن محلي مأوى للأجانب وهو لا يأمن مني . . وأما الحقيقة فإنه

طلب منى أن يكون الأخ حسين كاتباً عنده فالتمست منه العفو عن ذلك . فعفى وفى خاطره شىء عن إبائى . ثم أمر ابنه سالماً أن يأخذ حسيناً معه فى غزو العجمان لما حاصروا لاحساء . فرجوت من سالم أن يقنع والده بتركه . فلم يقصر وسعى بكل جهد حتى أقنعه .

ولما خرج سالم فى غزوته هذه لمساعدة عبد العزيز السعود أمر أعضاء المدرسة بعزلى ؛ فجاءنى المرحوم حمد الخالد ليلاً مشفقاً على وقال لى : أرجوك أن تذهب بكره إلى مبارك الصباح أنت وأخوك حسين ، وتطلب منه العفو والسماح وتقول له : ها أنا ذا وأخى تحت أمرك للخدمة . وتكتب أيضاً لأعضاء المعارف الاستقالة كأنها منك لا بأمر مبارك . فأجبته : « لو أعلم أنى أخطأت على أدنى أحد لذهبت ألتمس منه العفو والصفح ، ولكنى لم أذنب فكيف أطلب عفواً بلا ذنب صدر منى . وأما الكتابة للأعضاء بأن الاستقالة صدرت منى فأعدها كذباً ، ولا أفترى على الله ، بل أقول مبارك عزلنى بصراحة » ثم أخذ يقول « الله يهديك !. الله يهديك !.. سلم النظارة للشيخ يوسف الحمود بالغد »

فسامحها له بنفس طيبة ، فكان الخير فيما اختاره الله : وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

علماء الدين فى الكويت

لا بد لى من كلمة فى علم الدين قبل الشروع بذكر العلماء .

ورد فى الحديث الشريف : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من قلوب الرجال ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء) . الخ

ومما لا شك فيه أن العلماء يموتون كغيرهم ، فلماذا تقدمت جميع العلوم حتى صار علماء الأزمان الماضية لا ينسبون إلى المتأخرين فى سعة العلم والمدارك ، إلا علماء الدين فإنهم فى تأخر وانقراض ؟ الذى أراه أن السبب فى ذلك هو أن الحكومات الإسلامية أعرضت عن أحكام الشرع ، وجعلت الحكم للقانون ، فحل محل القضاة الشرعيين قضاة القوانين ، وحل محل المفتين رجال المحاماة وصار رجال الدين لا يعيشون إلا من أوساخ الصدقات . فالذى عنده نفس أبية لا يقبل هذه الحالة الدنيئة . فلهذا أخذ العلم الدينى

ينقرض والسبب هو الإعراض عنه بعكس ما كان من الإقبال عليه في الزمن السابق . وإليك ما ذكره الإمام الغزالي في الإحياء واعتراضه على أهل زمنه بترك الطب والإقبال على الفقه . قال : « إنكم من بلد ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ، ولا تجوز شهاداتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ، ثم لا نرى أحداً يشتغل به ، ويتهاترون على علم الفقه ولا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع ، فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة ، وإهمال ما لا قائم به ، وهل لهذا من سبب إلا أن الطب ليس يتيسر به الوصول إلى تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم على الأقران والتسلط على الأعداء » .

فمن كلام الغزالي يظهر لك ما قلناه من أن السبب في انقراض العلم الديني إعراض الحكومات الإسلامية عن الأحكام الشرعية واستبدالها بالقوانين الوضعية ، والناس هم الناس . وقس الحاضر على الماضي تجدهم على حد قول القائل :

أظهروا للناس نسكاً وعلى الدينار داروا

وهذا الحال هو الغالب على الناس والنادر لا يبنى عليه حكم .

وإليك طائفة من علماء الدين في الكويت :

١ — السيد أحمد بن السيد عبد الجليل طباطبائي :

هو رجل العلم والورع تصدى للتدريس نحو ٢٠ سنة ولم ينقطع عنه إلا بمرض موته . استفاد منه الكثير من أهل العلم فمنهم الشيخ خالد بن عبد الله العدساني ، ويوسف اليعقوب ، وعبدالوهاب الغرير . وتوفى حوالى سنة ١٢٩٥ ه .

٢ — الشيخ أحمد بن محمد الفارسي :

رحل فى طلب العلم على نفقة سليمان البدر القناعى ، وتعلم فى كوهج ومسقط ومصر ، وعاد إلى الكويت بعد مضى سبع سنين .

كان آية فى الذكاء والحفظ ، فصيح اللسان لا يتطرق لسانه اللحن ، حسن الصوت متوغلاً فى علم الأدب ، ويحفظ الكثير من من الشعر ؛ إذا جلس فى مجلس كثر المستمعون لما ينثر من الأدب ، وإذا وعظ امتلأ المسجد من الخلق لسماع وعظه ؛ وقد حصل له من

الإقبال ما لم يناله أحد فى الكويت من طلبة العلم . وأكثر علمه فى الأدب والوعظ ، ولكنه مع الأسف لم يتصدر للتدريس ولم تنتفع منه الكويت ، حتى أولاده لم يعلمهم ولا أحسن تربيتهم ، ولهذا يقول فيه الشيخ عبد العزيز الماجى من قصيدة طويلة :

فالشيخ مهما رأينا من سماحته   نراه للعلم مناعاً وحباساً

وكان إذا وجهت إليه اللائمة بعدم التعليم يقول : إذا تصديت للتدريس أقبل إلى الآفاقون من الطلبة وليس لهم ملجأ يأوون إليه ولا نفقة يستعيشون منها .

توفى سنة ١٣٥٤ بعد أن تجاوز التسعين .

٣ — الشيخ خالد بن عبد الله العرسانى :

طلب العلم فى بادئ أمره عن يد ولده عبد الله ، ثم واظب على التعليم عند السيد أحمد بن السيد عبد الجليل . ثم تصدى للتعليم إلى أن كف بصره .

كان فقيهاً نحوياً ، وله يد فى الشعر إذا بدت الحاجة إليه .

وعين إماماً وخطيباً فى جامع السوق واستمر به إلى أن توفى سنة ١٣١٨ . وقد رثاه عبد الله الفرج بقصيدته التى مطلعها :

أراع الخطب بدى فى الوجود وقوعاً كوقع مواضى الحدود
وكيف وقد ضرمت فى البلا د مصائبه النار ذات الوقود
على مثل خالد فليبك من يحن عليه حنين الرعود

إلى أن قال بتاريخ الوفاة :

وقد قالت لما مضى أرخوا دعته جنان لأجل الخلود

٤ — الشيخ عبد الرحمن الفارسى :

طلب العلم فى مكة ورجع إلى الكويت ، وشرع فى التعليم فى النحو والفقه ، وممن استفاد منه الشيخ عبد الله بن خالد العدسانى ، وصار خطيباً فى جامع الخليفة ، ثم لم تطب له الاقامة فى الكويت فسافر عنها خمسين سنة متنقلا فى بلاد الله الواسعة ، وأكثر إقامته فى كربلاء ، وكان قد تزوج فى العراق ورزق ولداً . وعاد إلى الكويت بعد نصف قرن واستقام خمس سنين حتى توفاه الله سنة ١٣٦٠ هـ وله من العمر ما يقارب تسعين سنة .

كان لطيف المحضر صاحب نكتة . سمعته يقول : دخلت على الزهاوى (والد جميل المشهور) فأنشدنى :

ابن ابننا من ابننا أحب الابن قشر والحفيد لب

فأجبته حالاً :

وكل كردى وإن تنبــأ فهو إذا حققت فيه دب

فضحك وقال : قاتلك الله .

٥ — الشيخ مساعد العازمى :

سافر إلى مصر لطلب العلم ، ومكث بها سنتين ورجع إلى الكويت وأخذ يدرس فى فقه مالك والنحو والعروض ثم اضطر لكسب المعيشة فتعلم صنعة التلقيح ضد الجدرى واستفاد منها فى توسعة معيشته وفى آخر عمره هاجر إلى البحرين وتوفى بها :

٦ — الشيخ عبد الله بن خالد العدسانى :

تعلم الفقه على والده خالد ، والعربيـة على عبد الرحمن الفارسى وتصدى للتدريس بعد أن كف بصر والده واستقام نحو عشرين سنة مثابراً على التعليم ، واستفاد منه خلق كثير وعين مفتياً فى زمن

سالم المبارك ، ولما توفى عبد العزيز العدسانى صار هو القاضى إلى أن توفاه الله سنة ١٣٤٨ هـ

٧ — السيد سليمان بن السيد على :

تغرب لطلب العلم إلى الأحساء . وكان بها فى محل الحفاوة لصلاحه واجتهاده فى الطلب ، وأدرك فى مدة قليلة ما لا يدركه غيره فى زمن طويل، ورجع إلى الكويت وشرع فى التعليم، وحصل عليه إقبال من وجهاء الكويت ، ولكن المنية عاجلته وهو فى مقتبل العمر ولم تفسح له حتى ترى ثمرة ذلك الاجتهاد والإخلاص

وما الدهر والأيام إلا كما ترى رزية حر أو فراق حبيب

٨ — ملا أحمد بن محمد القطان :

هو رجل تقى كفيف البصر تغرب لطلب العلم إلى الأحساء وفارس فاستفاد من هذه الرحلة سيما فى علم الفقه ، وكان لايمل من مجالسة طلبة العلم والمذاكرة معهم ، عين إماماً فى مسجد عبد العزيز المطوع وبقى فيه إلى أن توفى سنة ١٣٢٧ هـ

٩ — الشيخ عبد الله بن خلف :

رحل إلى الزبير لطلب العلم ، وتعلم عند الشيخ عبد الله بن حمود ، والشيخ صالح المبيض ، والشيخ محمد بن عبد الله العوجان ، ورجع إلى الكويت وشرع في التعليم . وكان مدة حياته محله مجمع لطلبة العلم صباحاً ومساء ، واستفاد منه كثير من طلبة العلم في الكويت ، وتولى القضاء سنة ١٣٤٨ هـ ، وكان مثالا للعفة والنزاهة والعدل ، ولم نعرف أحداً تولى القضاء وأدّى واجبه مثله . وكانت توليته القضاء بإلزام من الشيخ أحمد الجابر لأنه متعين عليه القيام بهذه الوظيفة حيث لم يوجد من يماثله في العلم والصلاح . واستقام في القضاء محتسباً لم يأخذ أجرة عليه ، وتوفي سنة ١٣٤٩ وصار يوم موته مصيبة كبرى على أهل الكويت

١٠ — الشيخ محمد بن فارس :

هو الرجل الوحيد في الكويت بالتقوى والنزاهة والورع . كان في أول عمره يعلم الصبيان القرآن . ثم اشتغل بالتجارة فكان فيها مثالا صالحاً بحسن المعاملة على الوجه الشرعي ، وربح منها بما

أغناه عن ذل الحاجة للناس ، وكان عليه الرحمة رجلاً مسموع الكلمة محبباً لدى عموم الكويتيين ، تعلم عنده الشيخ عبد الله الخلف الفقه فى أول طلبه ، ولا أدرى مبلغ تحصيل الشيخ محمد من العلوم ، والمسموع أن علم الفقه هو الغالب عليه بالدراية .

توفى سنة ١٣٢٦ حميد السيرة مرضياً عنه

١١ — الشيخ محمد بن ابراهيم الغانم :

رحل إلى الاحساء لطلب العلم ، وساعده توقد ذكائه ، حتى إنه أدرك ما لا يدركه غيره فى مدة سنين ، ورجع إلى بلاده وشرع فى التعليم محتسباً لله ، وأدركته الوفاة وهو ريان الشباب ، رحمه الله .

١٢ — الشيخ محمد بن جنيدل :

طلب العلم فى الكويت عن يد الشيخ عبد الله العدسانى ، والشيخ عبد الله بن خلف ، واستفاد فائدة كبيرة لكثرة ملازمته لمحل الشيخ عبد الله بن خلف ، وكان لا يفارق مجلسه حتى توفاه الله حوالى سنة ١٣٤٢ هـ .

١٣ — الشيخ يوسف بن حمود :

طلب العلم فى الكويت عند الشيخ مساعد المازمى ، واستفاد منه فائدة كبيرة ، فاشتغل فى التجارة فلم يوفق فيها ، وعين مدرساً بالمدرسة المباركية ، وكان ملازما لمحل الشيخ عبد الله الخلف لما به من المذاكرات العلمية ، وبعد وفاة الشيخ عبد الله لزم بيته ، وانقطع عن مخالطة الناس حتى توفى سنة ١٣٦٥ هـ .

الشعراء فى الكويت

قد تكلم الأستاذ ابن رشيد عن شعراء الكويت وأدبائها ، فلا حاجة لإعادة ذكرهم ، وإنما أراه ترك عدداً من شعراء الكويت لهم المحل الأرفع ولم يذكرهم فى تاريخه . وإليك البيان عنهم .

١ — عبد الله الفرج :

هو شاعر بالعربية والنبط والزهيرى ، وله شهرة كبيرة فى زمانه فى الكويت وتسمى بمحى الهوى لقوله :

محي الهوى بالحب زايد غرامه عطشان يشكو الهوى . . .

وأكثر شعره فى الشكوى من الزمان وأهله ، والسبب فى ذلك أن والده خلّف له مالاً كثيراً ولكنه لم يحسن التصرف فيه ، ونفد من يده فى مدة قليلة ، وأعرض عنه الناس بعد ذهاب المال من يده ، وأحسن قصائده بالعربية قصيدته فى السلطان عبد الحميد التى مطلعها :

هلم لطالع الملك السعيد وسلطان الورى عبد الحميد

أما بالنبط فأحسن ما قال قصيدته فى مدح الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد ، أمير حائل التى مطلعها :

ما حلا النظم المسطر كالعقود والسلام اللى چما الدر النضيد

إلى أن يقول :

ما خفى من طالعه نجم السعود ولد عبد الله محمد بن رشيد

ومنها :

سِل بنى عتبة وسل عنه السعود والخليفة قاطبة وآل بو سعيد

وانشد العربان قطان العدود يخبرونك عنه بالعلم الوكيد

عن ربيع الضيف عن ريف الوفود عن ذرى الملهوف عن ملجى الطريد

وكان من اللازم على محمد بن رشيد أن يكافئه على هذا الثناء بما هو أهل له ، ولكن كانت مكافأته لا تنسب إلى مكانة الأمير ومكانة عبد الله ، لأن عبد الله من بيت رفيع وكان صاحب ثروة ، وأحوجه الأمر للثناء ملتمساً رفد الأمير ، ولا نقول إلا أن لكل جواد كبوة .

وقد قضى عبد الله معظم حياته آخر زمنه فى يوسفان فى بيت الحاج أحمد النعمة من ضواحى البصرة ، وكان يجيد الضرب على العود وغيره من آلات اللهو ، وله مهارة فى التلحين ، وله أصوات كثيرة مبتكرة من تلحينه . أما مبلغ شعره من حيث البلاغة والطلاوة فهو وسط وأرى أنه لا ينسب شعره لشعر خالد بن محمد الفرج فى العربية ، كما أن شعر حمود الناصر فى النبط أمتن من شعر عبد الله ، ومما يؤخذ عليه استعمال الشعر القديم بدون تنبيه أو إشارة لقائله . مثل قوله :

وفاضت دموع العين منى صبابة

على فقد سكن الدار والمنزل البالى

فالشطر الأول لامرئ القيس . ويوجد غير هذا فى شعره .

توفى سنة ١٣٢٠ عن عمر يقارب ٨٠ سنة ورثاه ملا عابدين بقصيدة فيها تاريخ وفاته وهو (لقد غاب محيي الهوى فى اللحود) .

٢ — حمود بن ناصر البدر :

هو شاعر مجيد فى النبط وعنده اطلاع واسع فى مفردات اللغة وأكثر شعره فى الغزل ، حتى قال بعض الأدباء عنه عند المقارنة بين شعره وشعر العونى « إن حموداً بلاغته فى الغزل فقط » . ولما بلغه الخبر أنشأ قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أنحى الدجا وانجال عن لذ الكرى
جفن من أسباب الحوادث مسهرا
وتنكبت شهب النجوم وغربت
وانجال جنح الليل والصبح اسفرا

وهى قصيدة طويلة بدأ فيها بالغزل ثم خرج إلى الثناء على ممدوحه وهو سالم بن مبارك الصباح ثم طلب العفو من الله بالسماح فى ختامها . ومن الغزل فيها :

رعبوبة رقت حواشي حسنها
خود لها لب الفؤاد مسخرا
يشبه غضيض الموز ناعم عودها
من نود نسمات النسيم يهصرا

ومن الثناء :

كالأحنف المشهور حلمه والذكا
ياس المسمى والشجاعة عنترا
أعنيك يا زين الجوازى سالم
إن باه مفقود اليقين المبهرا
حبث أنت يا ديم المحول وريتها
جذوة جهامتها منير المجمرة

ومن طلب العفو :

بالله يا من لا إله غيرك ارحم ضعيف لك بدى يتعذرا

وأشهر من هذه قصيدته بالصريف التي مطلعها :

يا راكبين اكوارسة تبارَ فج النحور أخار ما بين الأوز

فقد صارت لها شهرة كبيرة فى الكويت ، والحقيقة أن حموداً شاعر مقتدر ، ولكن أغلب شعره فى الغزل ، ومن ابتكاراته التى لم أطلع على أحد سبقه لهذا المعنى قوله فى قصيدة له مطلعها :

لا باس يا دمثات ترفات الأبدان

حيث يقول :

إلى زها الملبوس والعمر ما زان

وأضمته بين السرف والغواتى

ومنهـــا :

عن حور عدن لو تسألون رضوان

چان استقر وقال ذا أكمل صفات

أستغفر الله ما على الحور قصران

لا أنهن عن ما فعل قاصرات

بدقاق رمش امدوعجة خرس الأعيان

نجـل سهام ألحاظهن مفتنـات

٣ — محمد الفوزان :

هو شاعر مجيد بالنبط ، وشعره لا يخلو من حكمة أو ظرف ، وقد أقبل أهل الكويت على شعره لما فيه من سهولة اللفظ ووضوح المعنى . وأكثر شعره فى الشكوى من الزمان وأهله . لأنه من المقلين ، فمن قصائده الشهيرة قوله :

الله من كثر الهواجيس بالبال

يا ليت بفراق الهواجيس ساعة

إلى أن يقول :

أصحابنا هالوقت يا خيبة الفال

لو هربدوا وياك عدوان قاعة

يأتون عثرات القوى صاحب المال

وإلا الفقير ان طاح داسوا خناعه

ويقول : لولا السبيل ولذعته تردع الياش

خطر يطيش العقل من زود ما فيه

ثم أخذ يشكو الزمان وعدم توفيقه من جميع الجهات حتى قال فيها :

ومنين ما تلتاح والرق حواش

والبلد حذفه ما يجديه راعيه

وقد دعاه محمد المطوع على باچه وخبز ودبس التمر فلما قام من الأكل قال :

الحمد لله السمى * شغله وفى * دبسه وراسه غثى

٤ — السيد عبد المحسن بن السيد عبد الله طباطبائى :

نبغ فى الشعر وهو حديث السن فكان ينظم الزهيرى والنبط والعربى وهو من المكثرين فى ذلك . وله سعة اطلاع فى مفردات اللغة ، ولما رد ابن جمهور على حمود الناصر فى قصيدته التى مطلعها (يا راكبين أكوارسة تبار) وقال فى رده :

ذى لابة ما يلبسون الوزار

ولا يعموها من حساوى وبحار

رد عليه السيد عبد المحسن بقوله :

أحمود ما داس المظالم وجارَ

كلا وقولك له هو الخزى والعار

إلى أن قال فى أهل الزبير بسبب حبهم لابن رشيد وكرههم لمبارك بن صباح :

مثل الذى يعرس بحايل قفار

وبدار ابن عوام يضرب له الطار

مناقب الكويتيين

لأهل الكويت مناقب يمتازون بها عن غيرهم ، وإن كانت بلاد الله لا تخلو من الطيبين رجال الفضل والإحسان ، إلا أن الكويتيين نسبة لحالتهم المالية وقلة عددهم يفوقون غيرهم فى ذلك .

وإليك بعضاً من مناقبهم الجليلة .

(١) التآلف والتوادد فيما بينهم فكأنهم بيت واحد وإن اختلف الجنس والنسب .

(٢) لا تجد التحاسد والتدابر والمشاغبات بينهم .

(٣) لا يجرى بينهم تقاتل ولا تضارب ، وإذا جرى شىء من بعض السفهاء لم يرفع الأمر إلى الحاكم بل يتوسطه خيارهم ويزال الخلاف .

(٤) مساعدات بعضهم لبعض متواصلة ؛ المنكوبين والمعوزين من الفقراء واليتامى والمساكين وأبناء السبيل ، وتجد المساعدات لهؤلاء البائسين لا تنقطع يومياً .

(٥) إكرام الضيف ، والأجنبي إذا نزل بساحتهم لا يعد إلا كواحد منهم .

(٦) منازلهم فى رمضان مفتوحة لإفطار الصائمين من الفقراء والمساكين ، تجد الفقير فى رمضان كالشاة فى أيام الربيع .

(٧) لا تجد فى الكويتى كبرياء ولا يحتقر الناس مهما كانت منزلته من الرفعة ، وهذه الخصلة الشريفة تشمل الأمير والمأمور وأصحاب الوظائف الحكومية .

(٨) جميع الأعمال الخيرية يعملونها بتكتم ولا يحبون أن يطلع عليها أحد ولا يتباهون ولا يتفاخرون بهذه الأعمال بل تنسى كأن لم تكن .

وبالختام أقول إن قول الشاعر :

وإن كانت النعماء عليهم جزوا بها

وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

ينطبق عليهم تاماً . والله أسأل أن يتم عليهم نعمته ويوفقهم لرضائه .

الحوادث التى يؤرخ بها الكويتيون

جرت عادة أهل البادية أن يؤرخوا بالحوادث التى لها شأن دون أن يعرفوا السنة التى وقع الحادث بها ، وحيث إن أهل الكويت فى بادئ أمرهم قريبون من حالة البادية ، قلدوهم بذلك ، إلا أن أهل البادية لا يعرفون تاريخ الحادثة وأهل الكويت يعرفونها .

فمن الحوادث المؤرخ بها :

١ — الطاعون :

حدث فى سنة ١٢٤٧ ، ولم يختص بالكويت بل حدث بالعراق وغيرها من البلاد التى على خليج فارس ، وقد فتك بالكويت فتكاً ذريعاً بحيث إن أغلب البيوت خلت من سكانها ؛ بل عجز الناس عن دفن موتاهم فى المقابر فأخذوا يدفنونهم فى

بيوتهم . ومن النوادر التي جرت في أيام الطاعون ، أن بعض البيوت لم يبق فيه سوى امرأة وأصيبت بالطاعون ، فدخل سارق وأخذ ماعز في البيت ، ولم تستطع المرأة أن تستغيث ، فلما حمل المال على ظهره أصيب ولم يستطع حمله وبقي هو والمال في محله حتى توفي ، وسلمت المرأة من المرض ! . . .

٢ — الهيلك :

ليس لهذا الإسم أصل بالعربية ، وإنما هو اصطلاحي ومعناه أن خلقاً من أهل فارس أصابتهم مجاعة وجاء عدد كبير منهم إلى الكويت وسموا بهذا الاسم . وهذه المجاعة حدثت سنة ١٢٨٥ هـ وانتهت سنة ١٢٨٨ هـ .

وقد قام أهل الكويت بالأعمال الجليلة من إطعام المساكين وإنقاذهم من التهلكة حتى فرج الله لعباده ، وقد بلغت الحالة ببعض أهل فارس أن باعوا بناتهم ، وشربوا الدم ، وممن صارت لهم شهرة طيبة بالاطعام : سالم بن سلطان ، وعبد اللطيف العتيقي ، ويوسف البدر ، ويوسف بن صبيح ، وبيت ابن ابراهيم .

٣ — الطبعة :

حدثت سنة ١٢٨٨ هـ . وهى غرق جملة من سفن الكويتيين بسبب طوفان عظيم حدث بين الهند ومسقط . ولم يسلم منه إلا النادر من السفن ، وممن ذهبت سفنهم ، بيت ابراهيم ، والعصافير ، ونصف البدر ، وابن صبيح ، ومحمد الغانم .

٤ — الرهيبة :

وهى مطر عظيم وقع فى رجب سنة ١٢٨٩ هـ وأضر ببيوت الكويت ، وكان مع قوة المطر ريح عاصف ، حتى طغى البحر وارتطم كثير من السفن ، ونتج عن هذا ضرر عظيم .

التجارة والتجار

تصدر إلى الكويت فى الزمن السابق الأطعمة من العراق (البصرة وسوق الشيوخ) كما يصدر إليها شىء قليل من الهند ، ثم تحولت الحالة فصارت الغلبة للهند والقليل من العراق ولا سيما بعد ظهور أرز رانقون فقد تغلب على جميع الأطعمة لعدم كلفته

ولرخص قيمته . وتجلب الأخشاب بأنواعها والبهارات والعبار والكبار من المليبار في السفن الشراعية . وتجلب الملابس من الهند .

وأشهر التجار في ذلك الوقت بيت آل ابراهيم ، وعثمان وعلى آل فريح ، وخالد الخضير ، ومحمد صالح الحميضي ، وسالم بن سلطان ، وعبد اللطيف العتيقي ، وزاحم بن عثمان ، ومحمد تقي غالب ، وعثمان العنقري ، وعبد الله الرشيد البدر ، وبيت محمد رفيع ؛ ولم نذكر أحداً من تجار هذا الوقت مع تفوقهم على المتقدمين بالمال والإدارة لأننا نكتب عن الزمن الماضي .

تجار اللؤلؤ

إن المشتغل بتجارة اللؤلؤ يسمى (طواشاً) . وتجار اللؤلؤ كثيرون ولا نذكر منهم إلا أهل الثروة الطائلة . ففي أول القرن الثالث عشر الهجري اشتهر بتجارة اللؤلؤ الشيخ أحمد بن رزق ، وهذا الرجل صار له منصب عال في زمنه عند الأمراء ورجال الحكومة العثمانية ، وكان يجمع بين المال والأدب والكرم ؛ وقد اطلعت على كتاب له مؤرخ في سنة ١٢١٦ هـ لمعتمد الحكومة

العثمانية فى بغداد ، وخلاصته أن معتمد الحكومة طلب منه أخشاباً من المليبار وأن الشيخ أحمد عين له بعض السفن الكويتية لنقل الأخشاب من المليبار وفيه يقول لمعتمد الحكومة (كن مطمئناً من عبد الله الصباح فإنه رجل عاقل ومغلوب جماعته) وكانت الحكومة فى ذلك الوقت متخوفة من سعود بن عبد العزيز آل سعود وخافت من ابن صباح أن ينضم إليه .

وبعد الشيخ أحمد اشتهر بتجارة اللؤلؤ على بن موسى ابن عصفور ثم هلال المطيرى ، وهذا أكبر طواش لا فى الكويت بل فى الخليج كله ، وقد بلغت ثروته ما ينوف على سبعة ملايين روبية ، ثم حسين وشملان أولاد على بن سيف ، وآل خالد الخضير ، وابراهيم بن مضف ، ويوجد طواشون غير هؤلاء ولكنهم لم يبلغوا مبلغهم .

تجار الخيل

كانت تجارة الخيل رائجة فى الزمن السابق ، وكان التجار يحملون خيولهم فى السفن الشراعية إلى بومبى ، ولما اتصلت البواخر

إلى البصرة أخذوا يحملون الخيل إلى المحمّرة بالسفن ومنها بالبواخر ، وحين مرور السفن التجارية بالكويت حينذاك ضعفت تجارة الخيل حتى انقطعت ، والسبب هو وجود السيارات .

وأشهر تاجر بهذه التجارة يوسف البدر فقد بلغت ثروته ١٢٠٫٠٠٠ ريال وتوفى سنة ١٢٩٧ عن ٦٠٫٠٠٠ ريال وهذا المبلغ فى ذلك الزمن شيء كثير ؛ وليوسف عليه الرحمة الذكر الجميل فى الكويت وفيه يقول شاعر العراق (الأخرس) :

إن الكويت حماها الله قد جعلت

فى اليوسفين مكان السبعة الشهب

ويقصد بيوسف الثانى ابن صبيح . وبعد يوسف البدر فى تجارة الخيل على العامر ، ومحمد بن فيد ؛ ومحمد المديرس ، وأحمد العدوانى ، وسليمان الجاسم . وهؤلاء التجار لم تبق باقية لثروتهم ، وكثير من أهل الكويت يتشاءمون من تجارة الخيل ، ويعتقدون بسرعة زوالها ، والحقيقة أن تجار الخيل وتجار اللؤلؤ يجازفون مجازفة تضر بتجارتهم إذا لم تأت الأمور على المطلب ، فالذى يملك

عشرة آلاف يشترى بخمسين ألف فاذا خسر عشرين بالمائة أفلس ، ولو اعتدل بالشراء لبقى له شيء من رأس المال .

السفن الشراعية وتجارها

كانت الكويت فى بادىء أمرها — إلى أن أخذت البواخر تزورها — معظم تجارتها تأتى فى السفن الشراعية : وفيها تجار يجلبون البضائع من الهند والمليبار واليمن وزنجبار . وأشهر تاجر منهم يوسف الصقر وسليمان بن عبد الجليل وصقر وحمد آل عبد الله الصقر ، فهؤلاء ملكوا ثروات طائلة من التجارة ؛ وكانت لهم سفن خاصة ، كما كانوا ينولون السفن الأجنبية لحمل التمر من البصرة إلى الهند واليمن ، ومن هناك يشحنون هذه السفن إلى الكويت بما يرونه صالحاً لتجارتهم .

أسماء السفن وأنواعها

من السفن الكبيرة التى تسافر إلى الأماكن البعيدة فى الزمن السابق نوع يسمى (بغلة) ونوع يسمى (شوعى) أما (البوم) فهو اسم للسفينة الصغيرة التى تشتغل فى البلد أو فى البلاد القريبة

مثل البصرة والبحرين . أما الآن فقد عدمت البغلة والشوعى أو كادت ، وحل محلها البوم مطلقاً للبلاد البعيدة والقريبة لأنه أمتع وأسهل صنعة من البغلة والشوعى .

وسأذكر هنا أسماء السفن الكبار فى الزمن السابق أما سفن هذا الوقت فكثيرة جداً . ففى الكويت اليوم نحو ١٥٠ سفينة من السفن التى تسافر إلى الهند وغيرها ، وأما الصغار فكثيرة جداً ولا حاجة لذكر عددها .

وإليك أسماء البغال :

(الاقحطانى والابراهيمى) لبيت ابن ابراهيم (شط العرب ورقوان) للجد محمد بن حسين (المكف) لعبد العزيز بن زبن (المنصورى) لأولاد ابن مضف (السالمى) للشيوخ (السليمانى) لحمد بن ناصر (العـذرة) ليوسف الغنيم (الميل) لعبد العزيز الجوعان (مكانين والاقحطانى) لابن عبد الجليل (الهاشمى) للسيد محمد (شط العرب) للوالد عيسى (عنقاش) لملا عبد الله ابن حسين (الهايته) لجاسم السليمان (الهاشمى) للسيد صالح (العريضة) ليوسف بن خميس (فتح المبارك) لحسين العسعوسى

(السلاهتى) لمحمد الغانم . وقد بنيت بعد هذه من الأبوام ما هو أكبر منها .

الغواص وتطوره

كان الغواص على اللؤلؤ فى بادىء أمر الكويت ضعيفاً جداً ، وحاصله زهيد ، وعيشته ضنكى . فهو يأكل التمر العتيق ، (ويسمى الحويل ، أى حال عليه الحول) وإدامه السمك ، ويأكل وجبتين من الأرز فى الأسبوع . وكان لا يستعمل الصفحة وإنما ينثر الزاد على السفرة ، وتتلبد الأوساخ عليها ولا تغسل إلا مرة فى الأسبوع ، ثم تحسنت عيشته بسبب زيادة أسعار اللؤلؤ ، فاستعمل الصحاف للأكل بدل السفرة وأكل الأرز للعشاء ومعه قليل من الدهن ، ثم ترقى الغواص ، وصارت معظم ثروة الكويت من الغوص على اللؤلؤ ، وبلغ عدد سفن الغواصين فى زمن مبارك الصباح ٨١٢ سفينة . وبلغ حاصل الغواصين ستة ملايين روبية فى موسم الغوص وهو أربعة أشهر من السنة . وبلغ منتهاه سنة ١٣٣٠ ه وتسمى هذه السنة : سنة الطَّفحة . واستمر الغواص فى حالة لا بأس بها إلى سنة ١٣٤٨ ه . ومن هذه السنة

أخذ الغوص فى الانحطاط حتى صار كأن لم يكن ، والسبب الحقيقى هو هبوط أقيام اللؤلؤ بحيث نزل ما قيمته عشرة آلاف إلى الألف .

سفن الغواصين وقوادها

كانت سفن الغواصين فى السابق أنواع : البتِّيل والبقَّارَة . والشُّوعى ، ثم انتشرت صنعة السَّنَّابيك والأبوام ، وطغت على البتّيل والبقّارَة .

وقواد الغواصين هم الذين بيدهم الحل والترحال والقفّال . وأول قائد عرف بالكويت هو ابن تمام ، ثم بعده ابن مَهنّا ، ثم أحمد بن يوسف بن رومى ، وبعده استمرت القيادة فى هذا البيت إلى يومنا هذا .

وعند الكويتيين مثل لمن يلازم حالة واحدة فهم يقولون « فلان بتيل ابن تمام شاحن وخالى فى ريالين » . والسبب فى هذا المثل أن بتيل ابن تمام بعد أن يأتى من الغوص يسافر إلى البصرة لتحميل الأطعمة ، وفى كل سفرة يحاسب بحارته على ريالين سواء زاد النول أو نقص .

وأشهر الغواصين فى الكويت بيت ابن رومى ، وبيت على ابن سيف ، وأبو قماز ، وأبو رسلى ، والدبّوس ، وسعود المطيرى ، وناهظ ، والفلاح ، وابن مضف ، والمناعى . وجميع هؤلاء أصيبوا بأضرار مادية فادحة من جرّاء هبوط أسعار اللؤلؤ .

المنازل فى الكويت

إن الاصطلاح الجارى فى الكويت وغيرها الآن عكس ما كان عليه العرب ، فالدار تسمى اليوم بيتاً والبيت يسمى داراً . وقد جرينا على هذا الاصطلاح لأنه هو المتعارف .

لم تتبدل بيوت الكويت عما كانت عليه فى أول تأسيسها إلا قليلا . وتوجد محلات باقية على ما كانت عليه من الضيق وعدم دخول الشمس فى الدور ، وعدم وجود النوافذ ، . وإلى الآن ليس فى دورهم منافذ على الطريق لتخلل الهواء ودخول الشمس إلا ما ندر ، وفتحها عندهم عيب كبير لأنه يسمع منه صوت المرأة . والعجيب أنه بالرغم من هــــذه الغيرة على المرأة بحيث لا ترى ولا يسمع لها صوت ، فإنها ليس لها كرامة عندهم ، حتى أن المحدث إذا حدّث جليسه وجاء ذكر المرأة قال له : أكرمك الله . ولم يقلها لمخاطبه

عند ذكر الحشرات . وكانوا فى الزمن السابق يسكن الدار الرجل والرجلان مع أزواجهم ؛ ويجعل بينهم ساتر من رداء وما أشبهه ، وكانوا لا يستعملون المراحيض فى البيوت على عادة أهل البادية، بل يكون قضاء الحاجة فى البحر أو فى الفضاء . أو فى الأماكن التى تلقى فيها الزبالة (وتسمى سمادة) وهـذه السمائد لم تزل إلا بعـد تأسيس البلدية .

اللباس وتطوره

كان لباس الرأس الشائع فى الكويت هو (الغِتْرة) وفوقها إزار كالعمامة . ثم أخذ أهل الثروة يلبسون بدل الغترة محرمة ساعورية تأتى من بغـداد . ثم حل محلها (الشّماغ) ويلبس فوق الشماغ (عقال الطىّ) ثم أبدل بعقال (الشِّطْفَة) .

أما الآن فالغالب هو الغترة البيضاء والعقال الأسود .

وأما لباس الجسم فالقميص وثوب الشِّلاح ؛ وقليل من يستعمل الصديرى ؛ ويلبس فوق القميص زُبون (وهو القباء) ثم حل محل الزبون (الدَّقْلَة) والبالطوا . وكان لبس السراويل نادراً . وأغلب أهل الكويت فى الزمن السالف يمشون حفاة الأقدام وقليل منهم

من يلبس النعال ، ثم تدرجوا إلى لبس الأحذية بأنواعها .

وكانوا يضعون على أكتافهم العباءة البرقاء ، وهى من ملابس العرب القديمة ، وفيها يقول العرجى :

على عباءة برقاء ليست   من البلوى تجاوز نصف ساق

ويلبس أهل الثروة عباءة القيلان ، وهى تصنع بالاحساء ، أما الآن فقد حل محل العباءة البشت ، وهو فى الحقيقة عباءة لا يختلف عنها إلا أن لونه متنوع بعدة ألوان .

وكان المتأنقون فى اللباس من الشيوخ مبارك الصباح ، ومن السادة السيد خلف النقيب ، ومن التجار يوسف المطوع ، وسويد ابن عبد الرحمن بن أسود . وأما المتأنقون اليوم فلا يحصون ! . .

المعيشة فى الكويت

كانت المعيشة فى الكويت بسيطة جداً ، فالماء الذى للشرب يجلب من الشامية والنقرة والدسمة ، ويوجد ماء للطبخ والحيوان ويسمى مُزُوقاً ، وفيه ملوحة ، ويباع بأرخص من ماء الشامية والنقرة . ويجلب الماء على الحمير ، وبائع الماء يصيح بأعلى صوته

(شَرّاى النقرة) (شراى الرقيق) ثم ظهر ماء الحلولى وفيه يقول شاعرهم :

ماء الحلولى مثله ماذارا لا فى فنيطيس ولا فى داره

وفى سنة ١٣٣٤ صارت هذه المياه لا تسد ظمأ البلد بسبب كثرة السا كنين ، فأخذوا يجلبون الماء من وجه البصرة بالسفن الشراعية .

أما الأكل فقد كانوا يأكلون فى الصباح التمرة والغبيبة ، (وهى بقية العشاء) . ويأكل الأغنياء الخبز والمفروك والبثيث . وأما الغداء ، فالفقير غداؤه التمر والمتوت (وهى سمك صغار مجفف) ويأكل الغنى الخبز مع المخيض والتمر . وقد كانت هذه هى المعيشة الغالبة ، وقليل من يطبخ الأرز مع الماش والروبيان أو السمك المجفف . وأما اللحم والسمك الطرى فلا يؤدم به يومياً بل مرة فى الأسبوع أو مرتين . ويأكل الأغنياء فى الشتاء الملتوت والزنجيد والعصيد ، ولكن بصفة غير مستمرة . ويكون ليوم العصيد شأن عند الأطفال فتراهم يغنون : « عيد عيد على العصيد » وكانوا إذا أكلوا العصيدة مسحوا أيديهم بأرجلهم ، وكانوا لا يستعملون

الصابون بعد الأكل ، ولم يستعمل الصابون إلا من مدة قليلة .

وأذكر في هذه المناسبة النادرة التالية : وهى أنه دخل رجل اسمه عيسى أبو عبود على المرحوم الأخ أحمد ، فوجده يغسل يده بالصابون بعد العشاء ، فقال له متأسفاً « آفا عليك يا أحمد تغسل يدك بالصابون » فأجابه أحمد « إن الأخ يوسف يغسل يده بالصابون مثلى » فرد عليه بشدة « حاشا على ذلك الوجه أن يغسل يده بالصابون » .

وأهل الكويت إلى يومنا هذا مقتصدون فى المعيشة وليس عندهم شىء من السرف والتفنن فى أشكال الأطعمة ، والسبب فى ذلك فقر البلد فى بادىء أمره واستمرار هذا الاقتصاد إلى يومنا هذا .

وحالة المعيشة اليوم غيرها فى الأيام السالفة ، فالفقير اليوم عيشته أحسن من الغنى فى ذلك الزمن ، ولا يمكن اليوم أن يخلوا الزاد من إدام ، لحم أو سمك ، إلا فى النادر .

الخرافات فى الكويت

إن سواد العامة فى الكويت يعتقدون بخرافات لا يقبلها العقل ، سببها الجهل الذى جعلهم يقبلون ما هب ودب .

من هذه الخرافات « أم حمار » ، يعتقدون أنها على شكل امرأة إلا أن لها رجل حمار ، وأنه حينما كان العبيد يستسقون خارج البلد قبيل الفجر كانوا يرونها تصحبهم كأنها واحدة منهم ، فإذا عرفوها فروا منها راجعين إلى البيوت .

ومنها « الطَّنْطَل » وهو يوصف بطول الجسم طويل الخصا بحيث إذا مشى يسمع لها صوت ، وهو يتمثل للسارين فى الليل ويلعب عليهم ، ولكن الحيلة فى دفعه أن يكون مع السارى مسلة فإذا رآه صاح : هات المسلة . فهو يهرب منها خوفاً على خصيته من غرز المسلة فيها .

ومنها « الدعيدع » وهو أن يرى الإنسان فى الظلام شيئاً كالجمر ملقى فى الطريق ، فإذا اقترب منه انتقل إلى محل آخر .

ومنها « السُّعْلُو » وهو بصفة عبد نوبى طويل ، وله أنياب

طويلة ، يختطف الأولاد الصغار ويأكلهم . وقد جرى فى سنة ١٣٢٧ هـ عند السواد الأعظم فزع شديد من هذا السعلو وسببه أنه غرق ولد فى البحر ولم يره أحد فشاع أن السعلو أكله ؛ وتلا ذلك فقدان ولد سعود بن فهد وهو صغير فتحقق عندهم أن السعلو أكله . ولكن الولد بعد عشرين سنة جاء الكويت وأخبر أنه سرقه رجل من أهل البصرة وباعه إلى رجل من أهل البادية فى شرق الأردن ، وهذا الذى اشتراه أمر أولاده عند موته أن يرجعوا الولد إلى أهله .

ومنها « أبو دَرْيَاه » عند أهل البحر . وهو بصفة إنسان يسمعون صياحه فى البحر كأنه غريق ، فإذا أنقذوه أكل ماقدم له ، وإذا غُفل عنه رجع إلى البحر ، وربما أتلف شيئاً من السفينة .

وهذه الخرافات زالت الآن بسبب انتشار العلم ، ولم يبق لها أثر والحمد لله .

اللهـــو

لا أريد أن أتكلم عن حكمة اللّهو فى الشرع ، من حيث التحريم أو الجواز ، وإنما أريد بيانه لمعرفة ما فى الكويت من لهو . وإن أردت ماقيل فيه من الوجهة الشرعية فراجع الجزء التاسع

من المحلى للإمام ابن حزم من صفحة ٥٥ إلى ٦٢ تجد فيه حجج الطرفين المجوّز والمحرِّم ، واختر لنفسك ما يطمئن إليه قلبك وينشرح له صدرك .

وإليك أنواع اللهو المعروفة فى الكويت :

١ — اللهو الحربى :

ويسمى العَرْضَة ، وهو يحتوى على عدة من الدفوف وطبل ، ويختلف الضرب والرقص فيه بين النجدى والكويتى . فأهل الكويت رقصهم تابع لضرب الطبل والدف فحركتهم بطيئة تبعاً للضرب ، بخلاف الرقص النجدى فهو سريع الحركة ، سريع الضرب ، وتأثيره فى النفس أكثر من الكويتى .

ويستعمل هذا اللهو فى الأعياد والأعراس والختان وأيام الحرب ، وينشدون فيه من الأشعار ما يوافق الحال ، ويرقص فيه أشراف الناس وعامتهم ، وكأن لسان حالهم يقول ما قال ابن رشيق صاحب العمدة :

الرقص شىء حسن ليس به من حرج
أقل ما فيه ذها ب الهم من قلب الشجى

٣ — اللهو البحرى :

يستعمله أهل السفن الشراعية ليشجعهم على القيام بأعمالهم ويسمى المغنى لهم « نَهّاماً » ، والملاحون يتبعون السفينة التى فيها نهام له صوت حسن . وكل عمل من الأعمال له غناء خاص به . ففى الجذف بالمجاذيف يغنى لهم النهام بالمواليا ولكنه يحرف بها فبدل أن يقول : يا مولى يا مولى . يقول : يا مالْ ، يا مالْ . كما يبتدئ المغنى بياليل ، ياليل . ثم يشرع بالقصيدة والملاحون يردون عليه بوحوحة مثل وحوحة أهل الطرق الصوفية حتى تنتهى القصيدة ، فإن لم يتم العمل شرع فى غيرها . والشعر الذى ينشده يسمى « زهيرى » وإليك أنموذجاً منه :

زاد العَنا بالضمير وما شِفت راحلى
والهمّ بِحشاى تَسّانى الذى راحْ لى
يوم شفت عيسهم يوم النوى راحلِ
ناديت : يا جيرتى إِسْكم غرامى وِفَى
وعَلَىّ ثوب المذلة من جفاكم وفى
بالله سيروا على مسراى ياهل الوِفَى
وِلفى ضعيفٍ وضالعْ بينكم رَاحْلى

وفى رفع الأنجر من البحر يبتدىء النهام بقوله : يالله هو ، يالله هو . أو هو يالله . أصلها يا هو يا الله . فتجد افتتاح النهام الاستعانة بالله .

وعندهم افتتاحية ينشدونها عند رفع الشراع أو غيره وهى « واسعة رحمة الله » .

وقد ذكر المسعودى شيئاً من غناء البحارة قبل ألف سنة وهو :

يا بربرة يا بربرة ومومجها كما ترى

يا بربرة وشجوتى وموجها المجنون

وقد شاهدت بنفسى هذه الأمواج وما كنت أعلم أن لها شأناً عند الأقدمين ، وكنت أسمع من البحارة : شرم برم ترياللى ، ولم أدر أن لها أصلا هو قول الشاعر :

إذا لم تكن لى والزمان شرم برم

فلا خير فيك والزمان ترلّلى

وأشهر نهام عند الكويتيين هو : فرحان أبو هيله ، ثم سلطان ابن دليم ، فسليمان الغرير ، وشريده وابنه سعد ، وصالح أبو كحيل وسعد بن فايز ، وبخيت بن بشير ، وعبد العزيز الدويش . وهؤلاء

لم يبق منهم على قيد الحياة الآن إلا عبد العزيز الدويش . ويوجد الآن نهامون بكثرة ، ولكن ليست لهم شهرة مثل من ذكرنا .

٣ — لهو الأعراس وغيرها من المسرات :

يقوم به عدة من الوصائف يضرب الدفوف والطبول ، ولهن مغنية ذات صوت مطرب ، فهى تبتدىء بأول القصيدة ويرددن عليها ما قالته فى أول بيت من القصيدة . فمثلا هى تقول :

صلى عليك الله يا عدنانى   يا مصطفى يا صفوة الرحمن

وهن يرددن هذا البيت نفسه وهى تسير فى إنشاد باقى القصيدة إلى أن تنتهى منها . ويسمون غناءهن « نجدى أو خمارى »

٤ — لهو العبيد النوبى والعباسى :

وهو أشكال عديدة أعرض عن تفصيلها ، والمهم منها على زعمهم الفاسد استنزال الزار ، وبعضهم إذا نزل زاره يشرب الماء المالح ويأكل الجمر ! ...

٥ — لهو السمار ليلا :

يحتوى على ضرب العود والمِرْواس (وهو طبل صغير)

ويغنى فيه ضارب العود بأبيات عربية ويمانية ، ويزفن الشبان على وقع هذا الضرب .

وأشهر ضارب بالعود وملحن هو عبد الله الفرج .

وهذا اللهو يحضره الرفيع والوضيع ، إذا خلا من المفاسد ، وله تأثير كبير على النفوس. وللسامع أن يحمله على ما يريد من هواه. فمثلا إذا أنشد :

إذا جن ليلى هام قلبى بحبكم
أنوح كما ناح الحمام المطوق

فللنساك أن يحملوه على الهيام بحب الله ، وبكاؤهم من خشية الله إذا جن ليلهم . وللعشاق أن يحملوه على الهيام بمحبوبيهم . وللناس فيما يسمعون مذاهب ....

المرأة فى الكويت

المرأة شقيقة الرجل ، وهى معه على حد سواء ، لا تنقص عنه إلا فى الشجاعة والثبات ، وسرعة الانفعال ، فلهذا نجد الرجال والنساء فى بلاد العلم يتبارون فى جميع الأعمال عدا الجندية والقيادة

فى الحرب ، وتجدهم فى بلاد الجهل كالأنعام السارحة لا يهمهم إلا المرعى ، ويسوقهم الراعى كما يريد . ولكن رجال الكويت وإن نشأوا فى بلد جاهل فهم أرقى من النساء بكثير ، وأرى أن السبب فى ذلك أولا : كثرة أسفار الرجال ومخالطة الأجانب . وثانياً : انتشار الجرائد والمجلات الدينية والأدبية والسياسية . وثالثاً : فتح المدرسة المباركية للبنين سنة ١٣٣٠ هـ بينما لم تفتح مدرسة للبنات إلا سنة ١٣٥٧ . ولهذا تجد بوناً شاسعاً بين الرجل والمرأة فى الكويت سيما فى الكتابة والأدب والشعر وحسن التفكير فيما هو صالح للوطن . وحتى الآن لم تظهر بالكويت امرأة عالمة ولا كاتبة ولا شاعرة ولا مفكرة ولا . . ولا . . بل هى باقية على الفطرة من حيث الخمول والأمية فلا تقرأ ولا تكتب ، واللواتى يقرأن ويكتبن — إذا استثنينا بنات المدارس الجدد — فهن نوادر جداً .

منزلة المرأة عند الرجال

وأعمالها ومعتقدها بالخرافات

ليس للمرأة قيمة عند الرجال سيما المتقدمين منهم ، فهى عندهم من سقط المتاع ، فإذا ذكرت فى خطاب قال المتكلم لمخاطبه :

أكرمك الله . عند ذكرها وترغم الفتاة على زواج من لا تريده سيما إذا كان الزوج ابن عم لها ، وإن كان قبيح الوجه ساقط الأخلاق . والذى بلغ من العمر ٨٠ سنة له أن يتزوج بنتاً لها من العمر ٢٠ سنة ويرغمها الولى عليه إذا كان غنياً ، وإن كرهت عشرته .

وتجد فى وصايا الكويتيين حرمان الإناث ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، فإذا أوقف ملكاً على ذريته خصصه بالذكور دون الإناث وإن كن أولى بالإحسان لفقرهن . وإذا أوصى بثلث فى سبيل الخيرات جعله بيد الولد دون البنت ، وإن كانت هى أتقى منه وأصلح .

وسعادة الزوجين بعد الدخول نادرة فهى من باب يانصيب يكسب مرة ويخسر ألف مرة ، لأنه لا يراها ولا تراه ، وكلا الزوجين لا يعرف من أخلاق زوجه شيئاً ، وكم من رجل نفرت منه زوجته من أول ليلة ، وكم من زوجة تركها زوجها من ليلة الزواج . وإليك واحدة من هذه الحوادث : تزوج رجل من أهل البحر بامرأة وزُفّ إليها بثياب مبتذلة وهيئة كريهة ، فلم يأخذ لها

زينته ولم يعدل هندامه ولم يمشط شعر وجهه ، وهو مع هذا الإهمال قبيح الوجه ، فلما رأته الزوجة تحصنت على نفسها ببسم الله كأنه شيطان ، وفرت إلى باب الدار صارخة بقولها لأمها : افتحى الباب . فلما فتحت أمها الباب قالت لها : « أختار الموت ولا هذا الزوج ، ردّوا عليه صداقه ، لا أريده » فرد عليه الصداق وطلقها .

وهذه المرأة كانت ثيّباً ، وعندها شجاعة ، وليس لديها ولى تخافه ، فكيف حال الصغيرة التى يأخذها الحياء أن تبدى مصيبتها بزوج تكره عشرته ولا يلائمها ، ويا ويلها إن أبدت ذلك .

وأين هؤلاء من حديث ثابت بن قيس لما كرهت امرأته عشرته ورفعت أمرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : طلقها . وأمرها أن ترد عليه الحديقة ، وهى صداقها منه .

وتقوم المرأة الكويتية بجميع خدمة البيت من طبخ وخبز وطحن وكنس وغسل وعناية بالحيوان وتربية الأطفال وخياطة ثياب الزوج والأولاد . والمرأة الغنية ليس عليها شىء من هذه التكاليف سوى الإدارة البيتية .

وليس بيد المرأة صناعة تعيش منها إذا أحوجها الزمان ، بل

تخدم فى بيوت الأغنياء أو تسأل . واللواتى يحسن الخياطة والتطريز قليلات بالنسبة للاتى يجهلن ذلك .

وتخرج المرأة لقضاء حاجتها من السوق أو للزيارة متحجبة ، والسفور لا يعرف بالكويت .

والخرافات شائعة بين أغلب نساء الكويت ويعتقدن بأن الساحرة تطير فى الليل ، وأن الزار الحبشى والزار النوبى مما لا شك فيه ، وإذا أصيبت المرأة بأمراض عصبية نسبوها إلى الزار . وشيخة الزار هى التى تقوم بخدمة المريضة فى دهن جسدها وفى إقامة حفلة جامعة من النساء اللاتى يدخل فيهن الزار ، يغنين ويرقصن ويضربن بالدفوف . ومن هذه الزيران من هو سيّد وشيخ كبير وطفل صغير وعجوز شوهاء . والذى جعلهن يعتقدن فى هذه الخرافات هو شفاء بعض المريضات فى هذه الحفلات . وقد سألت المرحوم السيد رشيد رضا صاحب المنار عن هذا الشفاء فأجاب بأن بعض الأمراض العصبية قد يوافقها الطرب والرقص . وقد أصيبت امرأة أعرفها بمرض السل ، وطال عليها المرض ، فأشارت عليها شيخة الزار أن

تعمل لها حفلة ، وحينئذ يدخل فيها الزار وتلتمس منه الشيخة الشفاء وترضيه بما يريد حتى يشفى المرأة ، فعمل لها حفلات عديدة ولم ينزل الزار ، ولكنها فى آخر حفلة أقيمت لها أخذها طرب من الغناء والتصفيق ، فهزت رأسها ورقصت وهى جالسة ، ففرح نساء الحفلة بنزول الزار ، وجاءت الشيخة تسترضيه ليبين مراده ، فلما كلمتها أجابت المرأة ، ليس بى زار ولكن أخذتنى خفة فرقصت . وأشاع نساء الحفلة أن الزار نزل بها وتكلم . وآخر الأمر أن المرأة لم تشف وماتت بدائها .

وإليك حادثة غريبة : أعتق المرحوم عبد الرزاق الدوسرى عبدة له فأخذت بعد وفاته تخدم فى البيوت لتعيش ، فجلست عند شيخة الزار تخدمها ، وبعد سنين ماتت الشيخة ، فقالت لها بنات الحفلة : قومى مقامها فوافقت على ذلك . وهى تقول « إنى لا أعرف شيئاً عن الزار سوى أنى رأيت الشيخة تدهن المريض وتأخذ البخور وتحرك شفتيها عليه ولا أدرى ماذا تقول ثم تدير البخور على المريضة » فهذا مبلغ علمها فى الزار ، ولكنها صارت شيخة

تدهن المريض وتحرك شفتيها على البخور ، وها هي ذي يشار إليها بالبنان .

وتذكرني هذه الحكاية بما يقال من أنه مرّ في العراق في الزمن الغابر رجل عابر سبيل على مقام يزار وتنذر له النذور ، فجلس عند القيّم ليسترجع من تعب السفر ، ولما عزم على الرحيل أعطاه القيم حماراً هزيلاً ليركب عليه حتى يصل إلى داره ، فبعد أن مشى عدة أميال انقطع الحمار من التعب ومات ، فحفر له عابر السبيل قبراً دفنه فيه وأخذ يندبه وينعاه فجاء قوم من المدان وسألوه عن صاحب القبر ، فأجابهم إنه سيد خير ، فبنوا له حالا حائطاً وأخذوا يحترمونه ويزورونه . فبلغ الخبر صاحب المقام فجاء لتحقيق الخبر ، فإذا صاحبه عابر السبيل هو القيم فسأله : أنّى لك هذا السيد الخير . فأجابه إنه هو الحمار الذي أعطيتنيه . فهمس إليه وقال له . أسكت فإن الذي عندي هو أبوه !! . . .

خرافات وأوهام تعيب العقل والعلما

المسابلة فى الكويت

يسابل الكويت أغلب الأعراب من نجد والعراق والجنوب ولو بعدت عليهم السبيل ، ما لم يمنعهم مانع حكومى . والسبب فى رغبة الأعراب فى مسابلة الكويت هو استعداد الكويت لجميع حاجات البوادى بأقيام مناسبة ، ويشترى الكويتيون من الأعراب ما عندهم من صوف وسمن وأباعر وأغنام ؛ فإذا قدموا صفاة الكويت فإنه لا تمضى عليهم ساعة إلا وقد باعوا ما لديهم واشتروا ما أرادوا وخرجوا من فورهم .

وقد كان لهذه المسابلة فى الزمن السابق شأن يذكر فى تقدم تجارة الكويت ، وأما الآن فقد ضعفت المسابلة لموانع حكومية ، ولم تبق إلا مسابلة عريب دار وروّاد الربيع من الأعراب إذا ربعت الأرض ، وعريب دارهم بادية الكويت الذين تؤخذ منهم الزكاة ويجرى عليهم حكم الكويت عند الاختلاف فيما بينهم ، وسابلتهم مستمرة صيفاً وشتاء ؛ وهم لفيف من شتى العشائر من عوازم ورشايدة ودواسر وعجمان وبنى هاجر وسهول وسبيع

وعدوان ، إلا أن الأكثرية للعوازم .

وأقول — والمستقبل كشاف — إن الكويت هى ميناء عرب الجزيرة ، وهذه الموانع لا بد أن تزول طال الزمان أو قصر ، والسبب فى ذلك أنه لا توجد بلدة فى هذه الجزيرة مثل الكويت ، فطرقها سهلة ومرعاها طيب والحاجات متوفرة فيها بأقيام رخيصة وسلع الأعراب تباع بأحسن قيمة .

وكأن لسان حال الأعراب يقول :

لا بد من صنعا وإن طال السفر وإن تحنّى كل عودٍ ودبر

القناعات

بمناسبة هذا التاريخ رأيت أن أذكر ما أعرفه عن منبت القناعات وتفرقهم فى البلاد ، ثم اجتماع الأغلبية منهم فى الكويت ، وما بلغوا من مكانة وثروة .

وسأذكر ما وقفت عليه عنهم من أثر باق أو كتابى أو نقلاً عن ثقة ، ولا أريد أن أتكلم عما لهم من عمل صالح لأن فى ذلك

ثناءً على نفسي ، والمثل العامي صادق حيث يقول « افعل والناس تكفيك » و « لا يذهب العرف بين الله والناس » .

القناعات في العراق

أولا : في كتيبان شمال البصرة كوت يسمى كوت القناعات ، تاريخ بنائه مجهول ، وساكنوه الآن لا يعرفون شيئاً عن القناعات سوى الاسم والرسم ، ومن المحتمل أنه لما وقع الطاعون في العراق سنة ١٢٤٧ ﻫ أفناهم ولم يبق منهم أحداً . وهذا الطاعون أخلى بيوتاً كثيرة من أهلها وصارت كأن لم تكن .

ثانياً : في المناوى وهو ناحية من نواحي البصرة بيت عبد الله السلمان وبيت حمدى وغيرها من القناعات ، ولم نعلم متى نزلوا هناك . أما بيت سالم البدر فهو من قناعات الكويت هاجر منها سنة ١٢٧٧ ﻫ .

القناعات فى الكويت

سكن القناعات الكويت منذ ٢٠٠ وكسور من السنين تقريباً كما سترى بيان ذلك. وعندى كتاب عثرت عليه فى البحرين اسمه « التيسير نظم العمريطى فى فقه الشافعية » بقلم عثمان بن على بن محمد ابن سرى القناعى ، يقول مؤلفه إنه ولد بالقرين ، والقرين يطلق على الكويت فى الزمن السابق وعلى محل فى فيلكة (وهى من جزر الكويت) ، وليس فى الكتاب تاريخ ولادته ولا تاريخ الكتابة ، ولكنى عثرت على كتاب صغير فى بيت الشيخ فرج فيه قصائد وقصة الحشر وحكايات خرافية بقلم عثمان المذكور ، وفيه تاريخ الكتابة وهو سنة ١٢١٣ هـ . وعثمان هذا هو شقيق جدنا الثالث وهو سلمان بن على بن محمد بن سرى ، وبيت عثمان هذا يسمى الآن بيت ابن سِرّى (وهو تحريف سَرى) .

وفى الكويت بقرب الشامية مروى يسمى خر القناعى ، وفى النصف من طريق الجهرة إلى الكويت قليبات ياسين القناعى ، وفى جنوب كاظمة للغرب محل يسمى قصير ياسين ، وفى وصية

عبد الرحمن بن زبن سنة ١٢٣٧ تخصيص صدقة الإمام والمؤذن فى مسجد ياسين المسمى مسجد سرحان الآن ، وياسين هذا لم نعرف تاريخ مولده ولا موته ولكننا نعرف بيته ونسله ؛ فإنه لم يبق من نسله سوى امرأة عجوز ، وبيته هو اليوم بيت فاضل بن سليمان الدعيج .

القناعات فى الزبارة

أخبرنى صالح بن إبراهيم بن صالح السدانى ينقل عن والده عن جده صالح ، وهو من أصحاب الشيخ أحمد بن رزق وكان فى معيته ، يقول : نحن جيران القناعات فى الزبارة وفى البحرين وفى الكويت . ويقول : لما خربت الزبارة ، من القناعات من هاجر إلى البحرين ومنهم من هاجر إلى سِرى (وهى جزيرة فى الخليج الفارسى) ثم لم تطب لهم السكنى فيها فهاجروا إلى فارس . وبيت ابن سياب من الذين هاجروا إلى فارس ثم جاءوا إلى الكويت منذ مائة سنة تقريباً .

القناعات فى البحرين

لما توفى الوالد عيسى سنة ١٣١١ رأيت عند الوالدة لفة من من الأوراق تدل على أملاك فى البحرين باسم يوسف بن عمر ، وهو جد الوالد من قبل أمه ، فقلت لها : لماذا لا نطالب بها ؟ فأخبرتنى أن أحمد بن يوسف (خال والدى) طالب بها ولم يفلح ، ودفعه آل خليفة بحجة أنهم أخذوا البحرين بالسيف وليس لأحد ملك . وفى سنة ١٣٤٦ سافرت إلى البحرين وأخبرنى يوسف الشتر عن والده ، وهو من المعمرين ، أن محلة القناعات هى بقرب بيت مقبل الذكير فى شرقى المنامة .

القناعات فى القصب

من بلاد نجد

لهم بقية إلى حال التاريخ فى القصب ، ولا نعلم تاريخ هجرتهم إليها . وفى سنة ١٣٢٣ هـ بلغهم أن بعضاً من أهل الكويت يشك فى نسب القناعات إلى السهول ، فكتب محمد بن بناق

القناعى وثيقة ذكر فيها نسبهم إلى السهول ومصاهرتهم لحمائل أهل القصب ، وشهد فيها غير واحد من أهل القصب كما شهد فيها وصحح عليها الشيخ عبد الله بن زاحم قاضى المدينة المنورة الآن ، وصادق عليها وثبتها الشيخ على بن عبد الله بن عيسى قاضى شقر وبلاد الوشم . وإليك نصها بالحرف عن قلم المرحوم الشيخ عبد الله بن خلف الحنبلى :

« بسم الله والحمد لله . ليعلم الواقف على ذلك والناظر إليه أن محمد بن بناق القناعى لما بلغه عن ابن عمه محمد بن أحمد بن أيوب القناعى ومن ينتسب إليه فى أطراف الكويت أنه تكلم فى نسبهم من لا معرفة له بذلك لبعد المسافة وخمولهم عند أهل زمانهم ، فذكر محمد بن بناق أن نسبهم يتصل بالزقاعين السهول ، وأما مصاهرتهم لأهل القصب فيشهد بذلك غير واحد بأنهم شملوا جميع حمائل أهل القصب يأخذون منهم ويزوجونهم وهم آل سويد وآل غدير وآل عوجان البقوم وآل شملان وآل غنام بنى خالد وآل قاسم وآل مقحم المنتفق وآل جلعود من رايل . كل هؤلاء

قد شملتهم المصاهرة . شهد على ذلك محمد بن غدير وشملان بن ابراهيم . وشهد به وكتبه الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن محمد بن فنتوخ وحرره في ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣٢٣ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . وختمه بختمه المعروف .

وشهد بذلك كما ذكر أعلاه عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم وختمه بختمه المعروف .

بسم الله الرحمن الرحيم . ثبت لدى ما ذكر أعلى هذه الورقة . قاله كاتبه الفقير إلى الله تعالى على بن عبد الله بن عيسى قاضى شقرة وبلاد الوشم من بلاد نجد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . حرر في ٢ ذى الحجة سنة ١٢٢٣ . وختمه بختمه المعروف .

نقل هذه الكتابة عن خطوط أصحابها المختومة بأختامهم العارف بها عبد الله بن خلف »

فتحصل مما مر أن سكنى القناعات في العراق تاريخه مجهول ، وكذا سكناهم في القصب من بلاد نجد . وأما سكناهم الكويت والزبارة فهو حادث لأن الكويت منذ سكنها الصباح لا تتجاوز

٢٥٠ سنة ، والزبارة سكنت سنة ١١٨٠ ﻫ وخربت سنة ١٢١٢ . والظاهر أن سكناهم البحرين بعد الزبارة ، فعلى هـذا هل منبت القناعات الأصلى هو العراق أو الشام أو القصب من بلاد نجد؟ .. الغيب لا يعلمه إلا الله ولـكنى أرجح أن منبتهم الأصلى هو شمال العراق ، وإليك الأدلة على ذلك :

أولاً : ذكر صاحب سبائك الذهب فى أنساب العرب أن بنى سهل بطن من جذيمة وسكناهم حوالى غزة من بلاد الشام .

ثانياً : أسماء الآباء تدل على أنها غير نجدية ، وإليك بيانها :

آل سَرى ، آل حردان ، آل مسلم ، آل ناجى ، آل هرموش ، آل حمدى ، آل سلمان ، آل انويجى ، آل سياب ، آل بناق ، آل حمدان ، آل بدر . (وقد استغربت اسم هرموش ولـكن مر علىّ فى رجال البخارى من اسمه كذلك)

ثالثاً : بياض البشرة يدل على أن المنبت بارد ، فسكان الشام والعراق يغلب على بشرتهم البياض ، والأسود وقمحى اللون — مع ندرته — إذا حققت عنه تجده حديث العهد بالسكن هناك . فقبيلة

سبيع منيتهم بالعراق ومنه تحولوا إلى نجد[١] . وعنزه منازلهم الحجاز ومنه تحولوا إلى الشام . وهذا شأن العشائر الرحل قبل أن تتحضر تتبع أماكن الأمن والمرعى ومحل العز ، فبنو كعب من سبيع تحولوا من العراق إلى الدورق سنة ١١٧٨ هـ وتشيعوا ، ومنهم من تحول إلى نجد ، ولهذا نجد بياض البشرة هو الغالب فيهم كالسهول . وقد سمعت من الثقة سليمان بن ابراهيم القاضى أن السهول وسبيع الآن فى نجد كعشيرة واحدة وأن بياض البشرة هو الغالب فيهم .

القناعات ومكانتهم فى الكويت

ومبلغ ثروتهم

مكانة القناعات فى الزمن الماضى والحاضر بين أهل الكويت وسطى لا ميزة لأحد منهم على سواه إلا بالأعمال الطيبة كغيرهم ، وأما مكانتهم عند الأمراء فلها ميزة ، وكلمتهم مسموعة ،

(١) فقد ذكر صاحب لسان العرب والقاموس أن منازلهم الكوفة وبها محلة تنسب إليهم تسمى السبيعية .

وأرى أن السبب فى ذلك ، أولا : المجاورة والمخالطة مع الأمراء منذ الصغر ، فالشخص الذى تعرفه ، وتعرف دخائله منـذ صغرك تطمئن إليه نفسك بما لا تطمئن للشخص الذى لا تعرف عنه شيئاً. وثانياً : القناعات لم ينازعوا الصباح فى سـيطرة ولم يشاغبوهم فى سياسة ، بل أخلصوا النصح لهم فى الزمن السابق واللاحق ؛ ولم يطالبوا على ذلك جزاء ولا منصباً ، فلهـذا اطمأنت نفوس الأمراء إليهم وصارت لهم هذه المـكانة .

وأما مبلغ ثروة القناعات ففى أول هذا القرن كان أغلبهم متوسط الحال وهو للفقر أقرب منه إلى الغنى ، وأما الذين ملـكوا شيئاً من الثروة مثل سالم البـدر وأخيه سليمان وعبد العزيز المطوع فإن ثروتهم لا تنسب لغيرهم من أغنياء الـكويت مثـل بيت ابن ابراهيم وتجار اللؤلؤ ، وأما ثروتهم فى القرن الماضى فقـد أخبرنى المرحوم محمد بن يوسف المطوع أن محمد بن ناجى ملك ثروة طائلة حتى إنه جعل فى دهليز بيته قوماً من الصابئة يعملون له ما يشاء من المصاغ ، وأخذ أهل الـكويت يسمونهم صبة القناعات (ولا أدرى هل هذا المصاغ تجارى أو أهلى) وأيضاً عبد العزيز الخليل تغرب

سنيناً فى جاوة ثم رجع منها بثروة عظيمة ، وكان يسمى عبد العزيز المندى ؛ ولكن ثروته لم تستقم لأنه كر راجعاً إلى جاوة فى سفينة لتصفية حسابه هناك وقدر الله على السفينة الغرق فمات ، وممن ملك ثروة لا بأس بها محمد بن حمدان . وتجارته فى الأرز بالمناخ .

هذا نهاية ما أردت بيانه من تاريخ الكويت راجياً من كل خبير عنده علم بخلاف ما ذكرت أن يرشدنى لأستدركه فى الطبعة الثانية ، والله أسأل أن يوفقنى للصواب فى القول والعمل إنه على ما يشاء قدير .

انتهى

فهرست

استدراك

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	٩	بالمجازيف	بالمجاذيف
٢٧	٢	استمداد	استمداده
٣٠	٧	يكوءوا	يكردوا
٣٦	١	١٠٢٨ هـ	١٢٠٨ هـ
٤٠	١	الأم	الأمم
٤٨	الأخير	ولد	وله
٥٣	١	جمود	حمود
٥٧	١٣	بالله	يا الله
٧٠	١	والشرعى	والشوعى
٧٢	٨	الذن	الذين
٨٠	١٢	لحرب	الحرب